شَرح قصيدة أبي إسحاق الإلبيري

للشيخ

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

ملاحظة: أصل هذا الشرح دروس لفضيلة الشيخ؛ ألقاها في المسجد النبوي، ولم يراجعها الشيخ بعد الصف والتفريغ

ح ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَنْظُومَةُ أَبِي إِسْحَاقَ الأَلْبِيرِيِّ ﷺ

١- تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَتَّا ... وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا

٢- وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ ... أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا

٣- أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ ... أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتَّا

٤- تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ ... بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا

٥- فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى ... مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى

٦- «أَبَا بَكْرٍ» دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا ... إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا

٧- إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا ... مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا

٨- وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا ... وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا

٩- وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا ... وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا

١٠- يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا ... وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا

١١- هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو ... تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ أَرَدتَّا

١٢- وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا ... خَفِيفَ الحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا

١٣- يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ ... وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدتَّا

١٤- فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا ... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدتَّا

١٥- وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوًى مُطَاعٌ ... وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَا

١٦- وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوْضٍ ... وَلَا خِدْرٌ بِزِينَتِهَا كَلِفْتَا

١٧- فَقُوتُ الرُّوحِ أَرْوَاحُ المَعَانِي ... وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَلَا شَرِبْتَا

١٨- فَوَاظِبْهُ وَخُذْ بِالجِدِّ فِيهِ ... فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللهُ انتَفَعْتَا

١٩- وَإِنْ أُعْطِيتَ فِيهِ طَوِيلَ بَاعٍ ... وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَا

٢٠- فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللهِ عَنْهُ ... بِتَوْبِيخٍ : عَلِمْتَ؛ فَهَلْ عَمِلْتَا ؟

٢١- فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللهِ حَقًّا ... وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ : لَقَدْ رَأَسْتَا

٢٢- وَأَفْضَلُ ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَكِنْ ... نَرَى ثَوْبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا

٢٣- إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْرًا ... فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا

٢٤- وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ ... فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا

٢٥- سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ العَجْزِ جَهْلًا ... وَتَصْغُرُ فِي العُيُونِ إِذَا كَبِرْتَا

٢٦- وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ ... وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَلَوْ فُقِدْتَا

٢٧- وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ ... إِذَا حقًّا بِهَا يَوْمًا عَمِلْتَا

٢٨- وَإِنْ أَهْمَلْتَهَا وَنَبَذْتَ نُصْحًا ... وَمِلْتَ إِلَى حُطَامٍ قَدْ جَمَعْتَا

٢٩- فَسَوْفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا ... وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا

٣٠- إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ ... قَدِ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفُلْتَا

٣١- فَرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْكَ الهُوَيْنَى ... فَمَا بِالبُطْءِ تُدْرِكُ مَا طَلَبْتَا

٣٢- وَلَا تَخْتَلْ بِمَالِكَ وَالْهُ عَنْهُ ... فَلَيْسَ المَالُ إِلَّا مَا عَلِمْتَا

٣٣- وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مُغْنٍ ... وَلَوْ مُلْكُ العِرَاقِ لَهُ تَأَتَّى

٣٤- سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي مَلَاءٍ ... وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَمْتَا

٣٥- وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ المَبَانِي ... إِذَا بِالجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا

٣٦- جَعَلْتَ المَالَ فَوْقَ العِلْمِ جَهْلًا ... لَعَمْرُكَ فِي القَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا

٣٧- وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الوَحْيِ بَوْنٌ ... سَتَعْلَمُهُ إِذَا «طه» قَرَأْتَا

٣٨- لَئِنْ رَفَعَ الغَنِيُّ لِوَاءَ مَالٍ ... لَأَنْتَ لِوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَا

٣٩- لَئِنْ جَلَسَ الغَنِيُّ عَلَى الحَشَايَا ... لَأَنْتَ عَلَى الكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا

٤٠- وَإِنْ رَكِبَ الجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ ... لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا

٤١- وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الغَوَانِي ... فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا؟

٤٢- وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا ... إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا

٤٣- فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ ... إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا

٤٤- فَقَابِلْ بِالقَبُولِ لِنُصْحِ قَوْلِي ... فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا

٤٥- وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا ... وَتَاجَرْتَ الإِلَهَ بِهِ رَبِحْتَا

٤٦- فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ ... تَسُوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتَا

٤٧- وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا ... كَفَيْئِكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِذْ حَلَمْتَا

٤٨- سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ ... فَكَيْفَ تُحِبُّ مَا فِيهِ سُجِنْتَا

٤٩- وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ ... سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا فِيهَا طَعِمْتَا

٥٠- وَتَعَرَى إِنْ لَبِسْتَ بِهَا ثِيَابًا ... وَتُكْسَى إِنْ مَلَابِسَهَا خَلَعْتَا

٥١- وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنَ خِلٍّ ... كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ لِمَا شَهِدتَّا

٥٢- وَلَمْ تُخْلَق لِتَعْمُرَهَا وَلَكِنْ ... لِتَعْبُرَهَا فَجِدَّ لِمَا خُلِقْتَا

٥٣- وَإِنْ هُدِمَتْ فَزِدْهَا أَنْتَ هَدْمًا ... وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَا

٥٤- وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا ... إِذَا مَا أَنْتَ فِي أُخْرَاكَ فُزْتَا

٥٥- فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا ... مِنَ الفَانِي إِذَا البَاقِي حُرِمْتَا

٥٦- وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ يَوْمًا فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَا
٥٧- وَمَنْ لَكَ بِالسُّرُورِ وَأَنْتَ رَهْنٌ وَمَا تَدْرِي أَتُفْدَى أَمْ غُلِلْتَا؟
٥٨- وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا
٥٩- وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى
٦٠- وَلَازِمْ بَابَهُ قَرْعًا عَسَاهُ سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا
٦١- وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْبًا لِتُذْكَرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا
٦٢- وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالٌ وَفَكِّرْ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا
٦٣- وَقُلْ: يَا نَاصِحِي بَلْ أَنْتَ أَوْلَى بِنُصْحِكَ لَوْ لِفِعْلِكَ قَدْ نَظَرْتَا
٦٤- تُقَطِّعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَوْمًا وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَا
٦٥- وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي المَنَايَا وَمَا تَدْرِي بِحَالِكَ حَيْثُ شِخْتَا
٦٦- وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكَثْتَا
٦٧- وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الخَطَايَا كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا
٦٨- وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيًّا أُمِّ دَفْرٍ وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا
٦٩- وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا
٧٠- وَلَمْ أَحْلُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وَانْتَهَكْتَا
٧١- لَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا وَلَمْ أَرَكَ اقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا
٧٢- وَنَادَاكَ الكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ وَنَبَّهَكَ المَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا
٧٣- وَيَقْبُحُ بِالفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى
٧٤- وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا لِعَيْبٍ فَهْيَ أَجْدَرُ مَنْ ذَمَمْتَا
٧٥- وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ لَمَا نَطَقْتَا

٧٦- وَلَـوْ بَكَـتِ الـدِّمَا عَيْنَـاكَ خَوْفًـا ... لِـذَنْبِـكَ لَمْ أَقُـلْ لَـكَ قَـدْ أَمِنْتَـا

٧٧- وَمَـنْ لَـكَ بِالأَمَـانِ وَأَنْـتَ عَبْـدٌ ... أُمِـرْتَ فَـمَا ائْتَمَـرْتَ وَلَا أَطَعْتَـا

٧٨- ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى ... لِجَهْلِـكَ أَنْ تَخِـفَّ إِذَا وُزِنْتَـا

٧٩- وَتُشْفِقُ لِلْمُصِـرِّ عَـلَى المَعَـاصِي ... وَتَرْحَمُـهُ وَنَفْسَـكَ مَـا رَحِمْتَـا

٨٠- رَجَعْتَ القَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوَا ... لَعَمْـرُكَ لَـوْ وَصَـلْتَ لَمَـا رَجَعْتَـا

٨١- وَلَـوْ وَافَـيْتَ رَبَّـكَ دُونَ ذَنْـبٍ ... وَنُـوقِـشْتَ الحِسَـابَ إِذاً هَلَكْتَـا

٨٢- وَلَـمْ يَـظْلِمْكَ فِي عَمَـلٍ وَلَكِـنْ ... عَسِيـرٌ أَنْ تَقُـومَ بِـمَا حَمَلْتَـا

٨٣- وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَـوْمَ الحَشْـرِ فَـرْدًا ... وَأَبْـصَـرْتَ المَنَـازِلَ فِيـهِ شَـتَّى

٨٤- لَأَعْظَمْـتَ النَّدَامَـةَ فِيـهِ لَهْفًـا ... عَـلَى مَـا فِي حَيَاتِـكَ قَـدْ أَضَـعْتَا

٨٥- تَـفِـرُّ مِـنَ الـهَجِيرِ وَتَتَّقِيـهِ ... فَـهَـلَّا مِـنْ جَهَـنَّمَ قَـدْ فَرَرْتَـا

٨٦- وَلَسْـتَ تُطِيـقُ أَهْوَنَهَـا عَـذَابًا ... وَلَـوْ كُـنْـتَ الحَدِيـدَ بِهَـا لَـذُبْتَا

٨٧- وَلَا تُنْكِـرْ فَـإِنَّ الأَمْـرَ جِـدٌّ ... وَلَـيْسَ كَـمَا حَسِـبْتَ وَلَا ظَنَنْتَـا

٨٨- «أَبَـا بَـكْـرٍ» كَشَفْتَ أَقَـلَّ عَيْبِـي ... وَأَكْـثَـرَهُ وَمُعْظَمَـهُ سَـتَرْتَا

٨٩- فَقُلْ: مَا شِـئْتَ فِيَّ مِـنَ المَخَـازِي ... وَضَـاعِـفْـهَا فَإِنَّـكَ قَـدْ صَـدَقْتَا

٩٠- وَمَـهْـمَا عِبْتَنِـي فَلِفَـرْطِ عِلْمِـي ... بِـبَـاطِـنِـهِ كَأَنَّـكَ قَـدْ مَـدَحْتَا

٩١- فَـلَا تَـرْضَ المَعَايِـبَ فَهْـوَ عَـارٌ ... عَـظِـيمٌ يُـورِثُ المَحْبُـوبَ مَقْتَـا

٩٢- وَيَهْـوِي بِالوَجِيـهِ مِـنَ الثُّرَيَّـا ... وَيُـبْـدِلُـهُ مَكَـانَ الفَـوْقِ تَحْتَـا

٩٣- كَـمَا الطَّاعَاتُ تُبْـدِلُكَ الـدَّرَارِي ... وَتَـجْـعَلُكَ القَرِيـبَ وَإِنْ بَعُـدتَّا

٩٤- وَتَنْشُـرُ عَنْـكَ فِي الدُّنْيَـا جَمِـيلًا ... وَتَلْقَـى الـبِرَّ فِيهَـا حَيْـثُ شِـئْتَا

٩٥- وَتَمْشِـي فِي مَنَاكِبِهَـا عَزِيـزًا ... وَتَـجْنِي الحَمْـدَ فِيمَا قَـدْ غَرَسْـتَا

٩٦- وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَيْبٍ وَلَا دَنَّسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا

٩٧- وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا

٩٨- فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا

٩٩- تُدَنِّسُ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا

١٠٠- وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ وَكَيْفَ لَكَ الفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا

١٠١- فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُم كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى

١٠٢- وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَارًا وَكُنْ كَـ «السَّامِرِيِّ» إِذَا لُمِسْتَا

١٠٣- وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ: سَلَامٌ لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا

١٠٤- وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ تَنَالُ العِصْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا

١٠٥- وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ يُمِيتُ القَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَا

١٠٦- وَغَرِّبْ فَالتَّغَرُّبُ فِيهِ خَيْرٌ وَشَرِّقْ إِنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا

١٠٧- فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا لَأَنْتَ بِهَا الأَمِيرُ إِذَا زَهِدْتَّا

١٠٨- وَلَوْ فَوْقَ الأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا سُمُوًّا وَارْتِفَاعًا كُنْتَ أَنْتَا

١٠٩- فَإِنْ فَارَقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَقَدْ سَلِمْتَا

١١٠- وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَا لِإِكْرَامٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا

١١١- جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَامْتَثِلْهَا حَيَاتَكَ فَهْيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَا

١١٢- وَطَوَّلْتُ العِتَابَ وَزِدتُّ فِيهِ لِأَنَّكَ فِي البَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

١١٣- وَلَا يَغْرُرْكَ تَقْصِيرِي وَسَهْوِي وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشَدْتَّا

١١٤- وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا حِسَانًا وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِائَةً وَسِتَّا

١١٥- وَصَلِّ عَلَى تَمَامِ الرُّسْلِ رَبِّي وَعِتْرَتِهِ الكَرِيمَةِ مَا ذُكِرْتَا

- نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

هذه منظومة عظيمة مفيدة لأبي إسحاق الألْبِيرِيِّ، جامعة شاملة، مليئة بالحكم والمواعظ والنصائح، عدد أبياتها مائة وخمسة عشر بيتًا. وقد أكثرَ أهل العلم قديمًا من حفظها، ويجعلونها من ضمن محفوظاتِهم؛ لما فيها من ترقيق القلب، والزهد، وحفظ الوقت، والحرص على طلب العلم والتشجيع عليه. فكان العلماء من قبل يُحفظونها طلَّابهم؛ لترفع همتَهم إلى طلب العلم والتزود منه.

والناظم- رَحِمَهُ اللهُ- يقول لك في هذه الأبيات: يجب عليك أن تغتنم أوقاتك، وأن تحرص عليها، وأن لا يفوتَك منها شيء، واحذر الركون إلى الدنيا؛ فإنها قصيرة، والعقلاء لا يركنون إليها .

ويقول لك: إن مُضيّ الأيام والليالي تضعف جسدك، وقواك، فاغتنمها ما دمتَ في شبابك، وقد تُنزع منك الروح وأنت في الشباب؛ لذلك قال - رَحِمَهُ اللهُ-:

١- تَـفُتُّ فُـؤَادَكَ الأَيَّـامُ فَتَّـا   وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَـا

«**تَفُتُّ فُؤَادَكَ**»، «**تَفُتّ**»: تُضعِف، والأصل في الفتّ: الكسر. وقال: «**تَفُتُّ فُؤَادَكَ**» ما قال جسمك؛ حتى يبين أن مرور الأيام والليالي لا تُضعِف فقط جسدك، بل حتى القلب وما ينبض فيه تُهلكه؛ فقال: «**تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَتَّا**» يعني كأنه يقول لك: الأيام تدكّ في جسدك دكًّا وأنت ما تشعر، وتُضعِفُهُ وتُكَسِّرُهُ .

«**وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا**»، «**السَّاعَات**»: الأيام، تنحته نحت، تشق من جسدك شقًا حتَّى تُضعِفه فتموت، فكأنه يقول لك: تدارك الوقت لأن كلَّ يوم يمضي فإنَّ جسمك ينعصر، ويَضعُف، ويتآكل .

ثُم بعد ذلك قال:

٢- وَتَـدْعُوكَ المَنُـونُ دُعَـاءَ صِـدْقٍ ... أَلَـا يَـا صَـاحِ أَنْـتَ أُرِيـدُ أَنْتَـا

«**وَتَدْعُوكَ المَنُون**» يعني: ملَك الموت... «**المَنُون**» يعني: الموت. «**وَتَدْعُوكَ المَنُون**» يعني: أنَّ الموت يدعوك في كلِّ ساعة وكلِّ لحظه .

«**وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ**» يعني: أمرٌ حقّ وواقع .

«**أَلَا يَا صَاحِ**»: هذا ترخيم؛ يعني ألا يا صاحبي. مثل: فاطمة تُرخَّم ويقال: فاطم. ومثل: يا ﴿ ٱبْنَ أُمَّ ﴾ ، مُرخمَّه. أصلها: يابن أمي .

فهنا قال: «**أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا**» يعني: ملَك الموت يقول أنا أريدُك أنت ما أريدُ غيرك، فكأن الموت قريب منك ومنطلق إليك، فيقول الموت أنا أريدُك أنت ما أريد غيرك. فالنَّاظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- يقول: اغتنم وقتك فإن الموت منطلق إليك لم ينطلق إلى غيرك .

ثُم بعد ذلك قال: إن في هذه الدنيا أكياس، وعقلاء، لم يركنوا للدنيا؛ وإنما أقبلوا على تَعلُّم العلم والدار الآخرة؛ فقال معاتبًا لك:

٣- أَرَاكَ تُحِـبُّ عِرْسًـا ذَاتَ خِـدْرٍ ... أَبَـتَّ طَلَاقَـهَا الأَكْيَـاسُ بَتَّـا

«**أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ**» يعني: الدنيا. «**عِرْسًا**»: العروس. «**ذَاتَ خِدْرٍ**» يعني: المتخدِّرة، المتغطِّية؛ كالدنيا كأنها متغطِّية عنك، ما تُريدُك أصلًا .

أَرَاكَ تُحِــبُّ عِرْسًــا ذَاتَ خِــدْرٍ　　　أَبَــتَّ طَلَاقَــهَا الأَكْيَــاسُ بَتَّــا

«**أَبَتّ**» يعني: قطعَها قطعًا. «**الأَكْيَاس**»: العقلاء. يعني: العقلاء أعرضوا عن هذه الخِدر الَّتي لا يرونها؛ لعيبٍ فيها، فكذلك الدنيا مثل تلك العروس المعرَض عنها لا يريدونها. فالعقلاء أعرضوا عن تلك المرأة المتخدِّرة لوجود عيبٍ فيها باطني فأعرضوا عنها؛ لذلك قال:

«**أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِدْرٍ**»: متخدِّرة، متغطِّية، متحجِّبة، لكن فيها عيوب داخلية.

«**أَبَتَّ طَلَاقَهَا**» أي: الطَّلاق المبتُوت بالثَّلاث. «**أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتًّا**»: فهم أعرضوا عن تلك المرأة، وكذلك العقلاء. شبَّه الدنيا بتلك المرأة المطلَّقة، مثل ما قال عليّ بن أبي طالب: «أه! يا دنيا لقد طلَّقتُك ثلاثًا»[١].

فهنا يقول لك: أن العقلاء طلَّقوا الدنيا كما طلَّقوا تلك العروس المذمومة؛ بمعنى: أنهم أعرضوا عن الدنيا، وزهدوا فيها، وأقبلوا على الدار الآخرة .

-نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

---

(١) ذكره أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ص ٨٥ ، ج ١) بقوله: « إليَّ تغرَّرت، إليَّ تشوَّفت، هيهات هيهات، غُرَّي غيري، قد بتتُّك ثلاثا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق» .

- نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رحمه الله-:

٤- تَـنَامُ الـدَّهْرَ وَيْحَـكَ فِي غَطِيطٍ بِهَـا حَتَّـى إِذَا مِـتَّ انْتَبَهْتَـا

يحثك الناظم -رحمه الله- إلى اغتنام أوقاتك وعدم إهدار شيءٍ منها. وأن الغافل كالنائم فلا يعلم متى يقع له إلا إذا استيقظ، وقد لا يستيقظ ذلك الرجل النائم إلا إذا هلك. كأنه يعاتبك يقول لك:

«**تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ بِهَا**»، «**تَنَامُ الدَّهْر**» يعني: عمرك. الدهر المراد: العمر.

«**تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ**»: عتاب، «**فِي غَطِيطٍ بِهَا**» يعني: سبات طويل وأنت نائم.

«**حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا**»، مثل ما قال الله: ﴿**أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ**﴾ [التكاثر: ١-٢] . يعني: كأنه يقول: احذر، انتبه، واستيقظ، واطلب العلم، وأكثر من العبادة، قبل أن تموت.

«**حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا**»، لكن انتباهك بعد الموت ما ينفعك، مثل ما قال الله: ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ**﴾ ما يمكن ﴿**إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا**﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] .

ثم قال:

٥- فَكَـمْ ذَا أَنْـتَ مَخْـدُوعٌ وَحَتَّـى مَـتَى لَـا تَرْعَـوِي عَنْهَـا وَحَتَّـى

يعني: فكم ذا أنت مخدوعٌ بهذه الدنيا، وتتلهف نفسُك للشهوات، والملذات، والمتع، وتُعرض عن طلب العلم، وعن قيام الليل، وتلاوة القرآن، فأنت قد

خدعت في هذه الدنيا بإقبالك عليها. « **فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى**» تستمر على هذا، «**مَتَى لَا تَرْعَوِي**» وترجع عن غيِّك واتِّباع شهواتك؟ «**وَحَتَّى**»: إلى متى ؟! حتى إذا تموت ؟!

ثم بعد ذلك قال:

٦- «أَبَا بَكْرٍ» دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا

هنا قال: « **أَبَا بَكْرٍ**»، الناظم - رَحِمَهُ اللهُ- وضع شخصية وهمية، كأن الأب يحاور ابنه، وسمى ابنه أبا بكر، أو كأن الشيخ يحاور تلميذه وينصح تلميذه وسمى هذا التلميذ أبا بكر؛ لذلك يذكر الناظم - ¬- كلمة (أبا بكر) في أكثر من موطن، فكأنه ينصح التلميذ أو الأب ينصح ابنه، يقول:

«(**أَبَا بَكْرٍ) دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا**»، «**دَعَوْتُك**» إلى العلم وللتزود منه، «**لَوْ أَجَبْتَا**» لفزت .

«(**أَبَا بَكْر) دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ**»، ونصيبُك، ورفعتُك، «**لَوْ عَقَلْتَا**»: لو عقلت أهمية العلم، وما دعوتُك إليه؛ لسارعت وبادرت إلى طلبه، وحفظ المتون .

- نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم- رَحِمَهُ اللَّهُ-:

٦- «أَبَا بَكْرٍ» دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا   إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا

لماذا يدعوك؟ إلى أي شيءٍ يدعوك؟ قال:

٧- إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا   مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا

«**إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا مُطَاعا**»: يريد بذلك: أن يُشحذ همتَك إلى طلب العلم، ولا يكون قصد الشخص بذلك أن يتصدر في المجالس أو أن يطاع بأوامره ونواهيه؛ وإنما يريد أن يقول لك معنى الآية: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] . أي كأنه يقول لك: في العلم رفعة ومكانة وشرف عظيم لك في الدنيا وفي الآخرة .

قال: «[**أدعوك**] **إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا مُطَاعًا**»: يُطيعك الناس بما تُفتيهم في كتاب الله وسنة رسوله - عليه الصَّلاة والسَّلام- .

«**إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا**»: إذا قلت لهم هذا محرم سمعوا لك؛ لأنك تخبرهم بميراث النبوة، وإن قلت لهم هذا واجب سمعوا لك؛ لأنك تخبرهم بما أتى به الوحي.

قال:

٧- وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا   وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا

«**وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا**»: في الأمر الأول: لك مكانة عند الناس وشرف، الأمر الثاني: يُصلح من حالك .

«**وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِك**»، «**يَجْلُو**»: ينظف. «**وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا**» الغشاء: الأوساخ. يعني: تبصر الحق ليس بينك وبينه غبار، فكأنه ليس عليك غشاوة وإنما بصر ثاقب إلى النصوص .

«**وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا**»: يبين لك الطريق الحق، فما تعرف طريق الحق إلا بالعلم، ولا ترتفع إلى المنزلة العالية تصل إلى نور الله إلا بالعلم .

٨- **وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا** **وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا**

قال: «**وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا**» أي: أيضًا لك مكانة عظيمة إذا دخلت في مجتمع الناس .

«**وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ**»، النادي يعني: المكان؛ تجمع الناس، مثل ما قال الله: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ [العلق:١٧] . النادي: المكان الذي يجتمع فيه الناس .

«**وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا**»: وأنت في مكان الناس تجلس، لا، أنت عليك حلية العلم، وتاج العلم .

«**وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا**»: فلو كانت ملابسك ممزقة، أو متسخة، أو ما عندك ثياب لفقر ونحو ذلك؛ فأنت مكسى بما هو أعظم من لباس الحرير، وما هو أعظم من أفخم اللباس، وهو: لباس العلم المزين بالتقوى؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف:٢٦] .

-نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم -رحمه الله-:

٩- يَــنَالُكَ نَفْعُــهُ مَــا دُمْــتَ حَيًّــا ... وَيَبْــقَى ذِكْــرُهُ لَــكَ إِنْ ذَهَبْتَــا

يعني: يذكر في هذا البيت مظهرًا شرف العلم، وأنه ينفعك في حياتك وينفعك بعد مماتك، في حياتك: تنتفع منه فتعبد الله كما أراد -سبحانه-، وتعلم الآخرين ما جاءت به الشريعة، وتنصح التائهين بما علمك الله -عزَّ وجلَّ- به من الوحي مما أخذته من الكتاب والسنة...وهكذا، فنفعُهُ ينالُك؛ ففي الدنيا تنال منه النفع العظيم بالأجور العظيمة المتتابعة؛ لذلك قال: «**يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا**»، وإذا متّ: قال:

«**وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا**» ، «**إِنْ ذَهَبْت**»: يعني إذا متّ، ذهبت من هذه الدنيا.

وانظر إلى حال العلماء السابقين كأنهم أحياء، تقول: قال الإمام البخاري، قال مسلم؛ كأن البخاري خلف العامود، ومسلم خلف هذا العامود، وشيخ الإسلام خلف ذاك العامود، وابن القيم...كأنهم أحياء معنا، ما الذي أحياهم؟ هل مالهم؟ لا، أولادهم؟ لا، شيخ الإسلام ما عنده أولاد، وماتت أُمّه وهو صغير، ولا عنده مال، ولا عنده بيت؛ يسكن في المسجد، ويدخل في السجن كم مرة، ما الذي أعلاه؟ العلم؛ لذلك قال: «**وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا**».

١٠- هُــوَ العَضْــبُ المُهَنَّــدُ لَــيْسَ يَنْبُــو ... تُــصِيبُ بِــهِ مَقَاتِــلَ مَــنْ أَرَدتَّــا

ثم بعد ذلك -قال- يبين لك إن الذي معك شيء عظيم قوي؛ فقال: «**هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو**» يعني: «**العَضْبُ المُهَنَّد**»؛ وهو السيف الصقيل القوي، «**لَيْسَ يَنْبُو**» يعني: لا يَضعُف، أو لا يتردد في قطع ما أرادَ قطعَه، بل

يقطعَه؛ ما ذهبتَ إليه، هذا حرام والدليل كذا؛ ينتهي، يجوز والدليل كذا؛ تنتهي المسألة، فمعك شيء قوي ونعمة كبيرة من الله -عزَّ وجلَّ- يجب أن تشكره عليها بالعمل بها .

فقال: «**هُوَ العَضْب**»، العضب يعني: السيف .

هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَـيْسَ يَنْبُـو   تُـصِيبُ بِـهِ مَقَاتِـلَ مَـنْ أَرَدتَّـا

المَقَاتِل يعني: الأعضاء التي فيها مَقْتَل. فكأنك بالسيف تقتل هذا الرجل مع مَقَاتِله؛ مع بطنه، مع أماكن الأعضاء التناسلية تقتله مباشرة، فالعلم يقتل أهل الباطل مباشرةً ويزهق أهل الباطل، والعلم يرفع أهل الحق، وكم نحن محتاجين إلى أهل العلم ليبينوا للناس أحكام الشريعة .

ثم بعد ذلك ذكر لك البيت الذي يليه وهو أشبه ما يكون باللغز يطرح على الناس، قال:

١١- وَكَنْـزٌ لَـا تَخَـافُ عَلَيْـهِ لِصًّـا   خَفِيفَ الحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنتَـا

«**..كَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا**» ؛ لأن العلم في عقلك، فاللص لا يستطيع أن يصل إلى ما في عقلك ويأخذَه! ولو استطاع أن يصل إلى رأسك ووصل إلى عقلك وفتحَه ما يستطيع! العلم ليس محسوس حتى يسرقَه؛ لذلك قال:

وَكَنْـزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْـهِ لِصًّـا   خَفِيفَ الحَمْـلِ يُوجَـدُ حَيْـثُ

«**خَفِيفَ الحَمْل**» : أنت تحمل كنز كبير من العلوم والأحاديث والمتون ومع ذلك وأنت تسير ما فيه فرق بينك وبين الرجل الذي يسير جنبك، أنت تحمل كبير لكنه شيء معنوي، لكن هذا الشيء المعنوي محبوب عند الله -عزَّ وجلَّ- كثيرًا .

«**يُوجَدُ حَيْثُ كُنتَا**» : في المسجد موجود، في البيت موجود، في الشارع موجود، في غرفة النوم موجود، في المجلس موجود، في العمل موجود، أما صاحب المال لو تقول له: أعطني عشرة آلاف قرض. قال: ما عندي أروح البنك أعطيك -ما عندي-. ولو قلت لمزارع: أريد كيلو من التفاح. يقول: ما عندي أذهب للمزرعة وأعطيك. أما صاحب العلم في الليل في النهار، سفر حضر، ليل نهار ... معه كنزه، يجوز؟ تقول: يجوز هذه المسألة. ما هي الآية ؟ ثاني آية في القرآن : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة : ٣] ، معه الكنز دائمًا ليل... في كل الأحوال؛ لذلك قال : «**يُوجَدُ حَيْثُ كُنتَا**».

ولا يمكن يُتصوَّر أن شيء يوجد مع الإنسان في كل أحواله سوى العلم، المال ما يوجد، الأولاد ما يوجدون، وين ابنك؟ والله في البيت. العلم لا، وين؟ العلم في رأسي؛ لذلك أن جيل هذه الأمة في صدورها، والله يقول : ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩] .

فليفرح طالب العلم بالعلم، وليشرف به، وليستمر على طلب العلم، ويخلص النية فيه لله -عزَّ وجلَّ-، ويريد بذلك رفع الجهل عن نفسه، وتعليم الآخرين إذا الله أعطاه رسوخًا في العلم وقوةً فيه .

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

-نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

١٢- **يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدتَّا**

١٣- **فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدتَّا**

قوله: «**يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ**»: هذا من فضائل هذا العلم؛ أنك إذا بذلته يزيد، يعني: إذا علمته إلى الآخرين -بإذن الله- يُبارَك في هذا العلم؛ فهو كالروض إن نزل عليه الغيث وهو التعليم زاد .

ويزيد بسبب ببركة هذا الوحي، الله يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩]، فما تأخذ منه ومعينُك هو النور. وهذا الشيء المبارك وهو كتاب الله وسنة النبي - عليه الصَّلاة والسَّلام-؛ لذلك يُبارِك الله فيه في العطاء، الله يقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ﴾ لابد أن يمشي به ﴿فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهكذا الضوء لا ينير إلا إذ جُعل في مساحة، أما لو جُعل الضوء في علبة ما أنار، لكن إذا أخرجته من العلبة أنارت؛ وهكذا العلم ينبغي للشخص أن يبثه عند أهله وجيرانه وأصحابه وأقاربه ونحو ذلك ممن يقدر عليه بالحكمة والتؤدة .

يقول :

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدتَّا

يعني: ينقص إذا لم تعلمه غيرك، لذلك يكثر طلبة العلم في زمن التعلم، لكن يقلون في العطاء، لماذا؟ لأنهم لا يُعلِّمون، فإذا الشخص لا يُعلِّم الآخر ينسى العلم، و يتضاءل عنده العلم، ويقل عنده اهتمامه بالعلم وتعظيم العلم في قلبه .

والذي يبخل في تعليم العلم باتفاق أهل العلم بأنه أشد ذمًّا من البخيل في العطاء بالمال للفقراء، فالذي عند علم ويبخل به ولا يُعلِّمه أشد ذمًّا من البخيل في المال، والدليل قوله -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾-والعياذ بالله- ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟﴾ قال: ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ علَّموا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

لهذا إذا علَّم طالب العلم ارتفعت منزلته، ما علَّم تنخفض منزلته انخفاضًا عاليًا، بل عليه وعيد شديد؛ لهذا القاعدة في الإسلام: أن ما جاء فيه فضلٌ كبير كان في التفريط فيه عقوبة شديدة؛ ومن ذلك العلم، تُعلِّم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [المجادلة:١١]، تكتم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾. فينبغي لطالب العلم أن يُعلِّم، بقدر ما يمكن يُعلِّم، ينصح، يَرشُد، الله يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣] .

فلما قال لك علِّم لئلا تنسى علمك ولا تنتفع به، «**فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا**» : فلو ذقتَ حلا العلم وطعمه؛ من الإيمان، والعمل الصالح، ونفع الآخرين، واهتداء الآخرين بك؛ «**لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدتَّا**»: آثرت التعلم على الدنيا، واجتهدت في بث هذا العلم وتعليم الآخرين .

يعني كأنه يقول لك: يا طالب العلم! اجتهد في تحصيل العلم -وبإذن الله- سوف تجد لذة العلم، وإذا وجدت لذة العلم؛ سوف تجتهد في العطاء، والبذل، ونفع الآخرين. فينبغي لطالب العلم أن يسعى لذلك ولا يتوقف.

١٤- وَلَـمْ يَشْـغَلْكَ عَنْـهُ هَـوًى مُطَـاعٌ وَلَـا دُنْـيَا بِزُخْرُفِهَـا فُتِنْتَـا

«**وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوًى مُطَاع**» يعني: إذا ذقت من طعماه وعلمت الآخرين «..**لَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوًى مُطَاعٌ** »، «**وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَا**» يعني: - بإذن الله- ما تنفتن في الجري واللهث خلف جمع حطام الدنيا، -شف- «**وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَا**» تفتتن بجمعها وفرحك بها؛ لأنك مشغول بشيءٍ عظيم، وهو: تحصيل العلم وتعليم الآخرين .

والإنسان لا يعلم مغبة ذلك ونفع ذلك -يعني الذي هو العلم- إلا حين الوفاة، لماذا؟ لأنه عبادة عظيمة يكافئه الله - ﷻ- إذا لقي العبد ربه - ﷻ-، مع تعجيله للفضل والخيرات في هذه الدنيا؛ من الطمأنينة والأنس به - ﷻ-، وانشراح الصدر، وأن يعبد الشخص ربه على بصيرة كما أمره الله - ﷻ- .

- نعم- وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

١٥- وَلَـا أَلْهَـاكَ عَنْـهُ أَنِيـقُ رَوْضٍ وَلَـا خِـدْرٌ بِزِينَتِهَـا كَلِفْتَـا
١٦- فَـقُوتُ الـرُّوْحِ أَرْوَاحُ المَعَـانِي وَلَـيْسَ بِـأَنْ طَعِمْـتَ وَلَـا شَرِبْتَـا
١٧- فَوَاظِبْـهُ وَخُـذْ بِالجِـدِّ فِيـهِ فَـإِنْ أَعْطَاكَـهُ اللَّـهُ انتَفَعْتَـا

«**وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوْضٍ**» يعني: لم يشغلك جمال الأرض من الخضرة وما فيها من الأزهار والورود.

يعني: لو ذقت حلاوة العلم وطعم الإيمان في قلبك بسبب هذا العلم الذي أعطاكه الله- عز وجل- لفضلت المكث في المسجد وحفظ المتون والقرآن على ذلك، ولم يلهك النظر إلى ذلك عن طلب العلم؛ يعني: لو آثرت التعلم ورأيت لذته وطعمه لم تشغل نفسك ولم تكلفه بالنظر إلى تلك المرأة والخدر التي قد أشديت وأهديت إليك من زوجه حسناء؛ لذلك قال:

«**وَلَا خِدْرٌ بِزِينَتِهَا كَلِفْتَا**»: لم تتعب نفسك بالجري خلف أولئك الحسان، ولم يكن ذلك همك؛ لأنك قد ذقت حلوى وطعم العلم ؛ لذلك قال:

فَقُـوتُ الـرُّوْحِ أَرْوَاحُ المَعَـانِي وَلَـيْسَ بِـأَنْ طَعِمْـتَ وَلَـا شَرِبْتَـا

يعني: إذا أردت حقيقة الجسد يمتلئ قوة ويمتلئ نصاعة ويمتلئ جمالا فالجمال بالعلم .

«**فَقُوتُ الرُّوْحِ أَرْوَاحُ المَعَانِي**» قوت الروح: يعني طعام الروح، روح المعاني: العلم؛ الكتاب والسنة وحفظ المتون وغير ذلك.

يعني : أن الروح لا يشرح الصدر بسبب الأكل والشرب، وإنما الذي يشرح الصدر و ينور القلب ويحسن الخلق هو الإيمان بالله وطلب العلم؛ لذلك قال لك:

فَوَاظِبْــهُ وَخُــذْ بِالجِـدِّ فِيــهِ   فَـإِنْ أَعْطَاكَــهُ اللَّهُ انتَفَعْتَـا

فقال لك: «**فَوَاظِبْهُ**» يعني : أنه هو قوتك وقوتك وجمالك،«**وَخُذْ بِالجِدِّ فِيهِ**» يعني: أي اصبر عليه واستمر على الحفظ والفهم والحرص فيه .

«**فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللَّهُ انتَفَعْتَا**»: فإن أعطاك الله العلم انتفعت به في الدنيا وانتفعت به في الآخرة، فلا تبغي بدلا ولا تبغي تحويلا عن العلم، فلا تشغلك الدنيا ولا يشغلك الهوى المطاع.

يعني: لا تطع هواك، يعني: لو عرفت العلم حقيقة لم تطع هواك، ولم تنشغل بزينة الدنيا ، ولم تنشغل بالخضرة والمزارع، ولم تنشغل بالنظر والإكثار من النساء وإلى المردان، ولم تنشغل بالأكل والشرب؛ وإنما الذي ينفعك هو طلب العلم.

فَوَاظِبْــهُ وَخُــذْ بِالجِــدِّ فِيــهِ   فَــإِنْ أَعْطَاكَــهُ اللَّهُ انتَفَعْتَـا

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

١٨- وَإِنْ أُعْطِيتَ فِيهِ طَوِيلَ بَاعٍ	وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَا
١٩- فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللَّهِ عَنْهُ	بِتَوْبِيخٍ: عَلِمْتَ؛ فَهَلْ عَمِلْتَا؟
٢٠- فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا	وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ: لَقَدْ رَأَسْتَا

قوله - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «**وَإِنْ أُعْطِيتَ فِيهِ طَوِيلَ باعٍ**» يعني: إذا الله وهبك من العلم علمًا راسخًا وكثيرًا، وأثنى عليك الناس، وقالوا لقد أوتيت علمًا كثيرا، وقالوا الناس لقد علمتَ شيئًا كثيرًا؛ لا تفرح، بل هذا يحثك على التواضع والخشية والخوف من الله؛ لأن كل ما ازدادت مرتبة الشخص علمًا، ازداد خوفه من الله؛ هذا هو الأصل، الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] . فلما زاد علمك وأثنى عليك الناس، يجب أن يزداد خوفك؛ لأنك سوف تحاسب «**عَلِمْتَ؛ فَهَلْ عَمِلْتَا؟**» .

يعني: أن الناس قد شهدوا لك بأنك سوف تسأل عن هذا العلم لأنك عالم، فبقي عليك الجواب. المسألة الأولى التي هي العلم أثنى عليك الناس بها، باقي الجواب على ذلك «**عَلِمْتَ؛ فَهَلْ عَمِلْتَا؟**» .

قال: «**فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ**» يعني: أن الأصل في العلم؛ هو تقوى الله، وقمة العلم، وأعلاه، وخلاصته، وثمرته، والمقصود به؛ هو تقوى الله .

فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا	**وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ: لَقَدْ رَأَسْتَا**

فالعلم ليس بأن يقول عنده علم، العلم بأن يقال ذلك هو الرجل العامل بعلمه، فيجمع بين المحمدتين علم وعمل، الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ﴾ [البروج: ١١] ، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [العصر: ٢-٣] .

- نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم - رحمه الله -:

٢١- **وَأَفْضَلُ ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَكِنْ**	**نَرَى ثَوْبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا**
٢٢- **إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْرًا**	**فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا**

لما بين لك الناظم - رحمه الله - فضل العلم وعلوه، وأن رأس العلم هو تقوى الله ومخافته- كأنه الآن في هذه الأبيات بدأ يعاتب طالب العلم الذي يفعل بعض المعاصي والسيئات، فلما قال له:

فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا	**وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ: لَقَدْ رَأَسْتَا**

فالآن توجه إلى طالب علم يغترف بعض السيئات، أو يقصر في بعض الواجبات، قال:

«**وَأَفْضَلُ ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَكِنْ**» يعني: أفضل ثوب تلبسه هو تقوى الله والطاعة، والإحسان لنفسك؛ وتصل إلى المرتبة العالية وهي مرتبة الإحسان فوق مرتبة الإيمان .

وَأَفْضَلُ ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَكِنْ	**نَرَى ثَوْبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا**

لكن نراك اغترفت شيئًا من السيئات .

إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْرًا	**فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا**

«**إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْرًا**» يعني: إذا لم يصدك العلم عن فعل هذه السيئات «**إِذَا مَالَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْرًا**»، [«**فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا**» فأين العلم الذي أوتيته وفعلت هذه السيئات؟ «**فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا**» -نعم-]«**فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا**» أي: أن فعل السيئة من الجاهل خيرٌ من فعلها من طالب العلم .

ثم بعد ذلك قال :

٢٣- **وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا**

يعني: إذا سوّل لك الشيطان بأنك تفعل وتتأول القصور في ترك الواجب أو تفعل بعض السيئات -تأويلًا من الشيطان لك-«**فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا**»؛ فهذا هو الفَهم الباطل، لذلك قال الإمام أحمد: «وما أفسد هذه الأمة إلا التأويل» [(١)]. فالشخص يأول لنفسه، ويتتبع الرخص، ويفعل ويتساهل في بعض ما نهاه الله -عزَّ وجلَّ- عنه، أو يتقاعس عما أمره الله -عزَّ وجلَّ- به تتبعًا للرخص أو تكاسلًا ونحو ذلك؛ لذلك يقول:

وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا

فينبغي لطالب العلم أن لا يكون مقصرًا، وأن يكون قدوة صالحة في نفسه، وفي مجتمعه، وفي أقاربه، وفي زملائه، ونحو ذلك. وأكثر ما يؤثر في الناس القدوة الصالحة؛ بل إن تأثيرها أكثر من تأثير النصيحة والمحاضرة والعلم ونحو ذلك، وكما تعرفون أن بلدان فُتحت بالكلمة والحُسن الطيب؛ كالمدينة النبوية فُتحت في عهد النبي ﷺ بغير السيف، فُتحت بالعلم، كانوا يعلمون الصحابة القرآن فلما أتاها النبي ﷺ وجد الناس يستقبلونه بالإيمان والإسلام. وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

---

(١)

-نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم - رَحِمَهُ اللهُ -:

٢٤- سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ العَجْزِ جَهْلًا	وَتَصْغُرُ فِي العُيُونِ إِذَا كَبِرْتَا
٢٥- وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ	وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَلَوْ فُقِدْتَا
٢٦- وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ	إِذَا حقًّا بِهَا يَوْمًا عَمِلْتَا

في هذه الأبيات ينبهك الناظم -رَحِمَهُ اللهُ- قبل وقوع ندم قد يحدث عليك في حياتك فتندم ندامة كبيرة، فهو يقول أنت الآن خرجت من الدنيا انتبه احذر فالناس صنفان صنف يندم وأنا أحذرك منهم، -أحذرك أن تكون منهم-، وصنف يفرح، فالذي يندم الذي لا يطلب العلم، والذي يفرح هو الذي يطلب العلم.

لذلك قال: « **سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ العَجْزِ جَهْلًا** » يعني: ستجني ثمار وسيئات وحسرات كثيرة بسبب الجهل،« **سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ العَجْزِ جَهْلًا** »: ستجني من الجهل ثمار متعددة سيئة، من ثمارها: « **وَتَصْغُرُ فِي العُيُونِ إِذَا كَبِرْتَا** »، إذا كبر سنك نظْرت الناس إليك قليلة، واحتقار، فأنت يعتبرونك جاهل، فمن ذلك عدم كبرك عند الناس وتعظيمهم قدرك لهم؛ هذا مما قد يوقع في قلبك حسرة علما بأن الشخص أو طالب العلم لا ينظر إلى مثل هذه الأمور لكن يقول إن قدرك في المجتمع قدر الجاهلين، والجهل في المجتمع لا يرحم نظرته للجهل هكذا.

ومن السيئات الجهل والحسرات: «**وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ**»، حتى وأنت حي ما كأنك موجود، ولا يقل قال فلان ولا فعل فلان، ولو مت تفقد أشد وأشد ولا أحد يعرفك ما كأنك خلقت، لهذا ترون في كل يوم يذهب للبقيع

عشرات الجنائز ما هي الجنازة التي نفقدها ؟ فقط جنازة العالم، والتي لا نفقدها جنازة غير العالم.

لذلك قال: «**وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ**»: ولو وجدت في الحياة؛ مجهول، إذا مت أشد وأشد فلا يعرفك سوى أولادك ثم تبقى مع الغابرين، أما إذا علمت قال: «**وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَلَوْ فُقِدْتَا**»: وأنت غير موجود في الحياة في المجالس كأنك موجود معنا في المجلس؛ قال ابن باز قال شيخ الإسلام قال ابن القيم... لذلك قال : «**وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَلَوْ فُقِدْتَا**»، سواء فقدت في المجلس أو فقدت في هذه الحياة كأنك موجود معنا؛ قال الإمام البخاري؛ كأنه حي، قال الإمام مسلم؛ كأنه حي، قال أبو داود؛ كأنه حي، ما الذي أحياهم؟ العلم.

فالناظم يقول أنا أريدك مثل هؤلاء حي في حياتك وحي بعد مماتك، وأخشى عليك من الحسرة أنك ميت في الحياة ومندثر ذكرك بعد المات.

قال: «**وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ** »: بعد أمد طويل وإذا كبر بك العمر وأنت وجودك مثل وجود غيرك حين ذاك تتأسف وتتحسر، لذلك قال:

وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ إِذَا حقًّا بِهَا يَوْمًا عَمِلْتَا

إن عملت بنصيحتي وطلبت العلم فسوف يبقى أثرك في الحياة ويبقى ذكرك بعد الممات، ذكرًا وأثرًا، فهو ينصحك بطلب العلم، لهذا لا يبقى ذكر للشخص سوى بالعلم بغير العلم ما يبقى ذكر له، وهو الذي يرفعه، وهذا من آيات الله التي ذكرها الله، في قوله: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، رفعه في الدنيا وفي الآخرة ، المال يرفع الشخص في حياته فقط بعد الممات ما ينفعه، الأولاد يرفعون ذكره في الحياة بعد الممات ما يرفعونه؛ يموتون

مثلك الأولاد، والمال مثلك يوزع وينتهي، لكن العلم هو الذي يكبر ويحيا، لذلك نصيحة ابن الجوزي يقول: «ولا زال العلماء ينصحون بطلب العلم»(١)، وهي وصية الله -لطلب العلم-؛ طلب العلم.

وأنا أنصحكم بالعلم، وحفظ المتون، والقراءة، وعدم إضاعة الأوقات، وعدم اللهو، وعدم التكاسل، وعدم الصحبة التي توهنك عن طلب العلم، والبعد عن الذين إن وجد أحد يوهن من حفظ المتون أو يضعف من شأنها، لا، اطلب العلم، واحفظ المتون، واقرأ الكتب، وما يشكل عليك اسأل، وجالس أهل العلم وزرهم في مجالسهم في بيوتهم وفي دارهم ونحو ذلك؛ لتكون قريب من العلم ومن أهل العلم حتى ينفع الله بك في الحياة وبعد الممات.

نعم، والله أعلم، وصلى الله وسلم على محمد.

---

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، لما ذكر الناظم -رحمه الله- حثه لك على طلب العلم، والتحذير من الجهل «**سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ العَجْزِ جَهْلًا**»؛ ثم قال:

٢٧- **وَإِنْ أَهْمَلْتَهَا وَنَبَذْتَ نُصْحًا**	**وَمِلْتَ إِلَى حُطَامٍ قَدْ جَمَعْتَا**
٢٨- **فَسَوْفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا**	**وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا**
٢٩- **إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ**	**قَدِ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفُلْتَا**

هنا قوله: وإن أهملت نصيحتي لك، وتركت العلم، وركنت إلى الجهل «**وَإِنْ أَهْمَلْتَهَا وَنَبَذْتَ نُصْحًا**»: وتركت نصيحتي، «**وَمِلْتَ إِلَى حُطَامٍ قَدْ جَمَعْتَا**»: ملت إلى الدنيا واللهو وإضاعة الوقت؛ «**فَسَوْفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا**»: سوف تعضُّ من ندم على تركك هذه النصيحة، لكن «**وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا**» متى ستندم ؟ «**إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ**» وأنت -يعني- بجهلك «**..قَدْ سَفُلْتَا**»، رأيت صحبك قد ارتفعوا بالعلم لما جدوا واجتهدوا، وحفظوا المتون، وحضروا دروس العلم، وأنت قد سفُلت بجهلك، وعدم حفظك، وركونك إلى الكسل والدنيا واللهو ونحو ذلك .

يعني كأنه يقول لك: من لم يطلب العلم سوف يندم، ومن طلب العلم فسوف يرتفع، وإذا ارتفعت؛ فإن أقرانك الذين لم يطلبوا العلم يتمنون أنهم كانوا مثلك، إذن: احرص على طلب العلم لتكون أنت المرتفع، والنبي ﷺ يقول : «لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها[١] ورجل أتاه الله القران فهو يتلوه أنا الليل وأطراف النهار»[٢].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٣)، ومسلم برقم (٨١٦)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري برقم (٧٥٢٩)، ومسلم بلفظ: «فهو يقوم به»، رقم (٨١٥) .

فليفرح طالب العلم بالعلم، وليسعد بالعلم لأنه يقربه إلى الله – عزَّ وجلَّ-.
والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا ومحمد .

-نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم -رحمه الله-:

٣٠- فَــرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْــكَ الهُــوَيْنَى   فَــمَا بِــالبُطْءِ تُــدْرِكُ مَــا طَلَبْتَــا

لما بين-رحمه الله- فضل العلم وأنه لك العلو في الدنيا والآخرة، وسوء مغبة الجهل في الدنيا وليس له رفعة في الآخرة، وأنك إذا لم تطلب العلم فسيأتي اليوم الذي تندم فيه؛ فقال لك: لما ندمت على ما فعلت وما فرطت في أيام؛ يقول لك: لا تحزن ولا تعرض، تعال «**فَـرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْكَ الهُوَيْنَى**» الضَعف، والإعراض، وعدم الجدية في طلب العلم .

فَـرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْـكَ الهُـوَيْنَى   فَـمَا بِـالبُطْءِ تُـدْرِكُ مَـا طَلَبْتَـا

فما بضَعف العلم في حفظ المتن أو قراءة الكتب «**تُدْرِكُ مَا طَلَبْتَا**» من العلو في طلب العلم، وتحصيل العلم والرسوخ فيه!

٣١- وَلَـا تَـخْــتَلْ بِمَالِـكَ وَالْـهُ عَنْـهُ   فَلَيْــسَ المَــالُ إِلَّــا مَــا عَلِمْتَــا

أي: إذا كان عندك مال لا تختال به، وتترفع، وتستكبر على الناس؛ بل الهو عن مالك وأعرض عنه، فليس لك من المال «**إِلَّا مَا عَلِمْتَا**» أي: أن المال الحقيقي والكنز الكبير الذي تملكه هو ما طلبته من العلم .

٣٢- وَلَـيْسَ لِجَاهِـلٍ فِـي النَّـاسِ مُغْـنٍ   وَلَــوْ مُــلْكُ العِـرَاقِ لَــهُ تَــأَتَّى

«**وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مُغْنٍ**» أي: أن الجاهل حتى لو كثر ماله ما يغني الناس ولا ينفعهم، ولا يرويهم من ظمأ ولا يملأ بطونهم من جوع .

«**وَلَوْ مُلْكُ العِرَاقِ لَهُ تَأَتَّى**» ولو كثر ماله وحصل له جميع ما في العراق من أموال لما كانت مليئة بالأشجار والأنهار والثمار، فلو كنت تملك جميع ملك العراق؛ مما فيه من خيرات -مما ذكره المصنف في زمنه-، فلن تغني الناس ولن تشبعهم؛ لأنك جاهل، فلا يشبع الناس إلا العلم، فهو الذي يرويهم، وهو الذي ينور بصيرتهم، وهو الذي يهديهم إلى طريق الجنة، أما صاحب المال ما يغني الناس ولو أغناهم أغنى أجسادهم. والمراد هو: غنى الروح؛ لذلك قال:

فَــقُوتُ الـرُّوْحِ أَرْوَاحُ المَعَـانِي ... وَلَيْسَ بأَنْ طَعِمْتَ وَلَا شَـرِبْتَـا

- نعم- والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم -رَحِمَهُ اللهُ-:

٣٣- سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي مَلَاءٍ	وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إنْ كَتَمْتَا
٣٤- وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ المَبَانِي	إِذَا بِالجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا
٣٥- جَعَلْتَ المَالَ فَوْقَ العِلْمِ جَهْلًا	لَعَمْرُكَ فِي القَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا

قوله -رَحِمَهُ اللهُ-:«**سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي مَلَاءٍ**» يعني: من تشريف الله -عزَّ وجلَّ- لك بالعلم بأن علمك سوف ينتشر في المجامع، ومجالس الناس، ومنتدياتهم ونحو ذلك، فتشرُف وتَعظُم ليس بالذكر؛ الإنسان لا ينظر للدنيا، وإنما تشرف وتعظم لأنك تكسب ثوابا وأن لم تكن في ذلك المجتمع، فعلمك نُشر.

«**وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَمْتَا**»، «**وَيُكْتَبُ عَنْكَ**» تلك السيئة والخطيئة إذا كتمت علمك ولم تعلم الآخرين ولم تبين لهم الحق الواضح؛ ما جاء به النَّبيّ -عليه الصَّلاة والسَّلام- وما جاء في كتابه سبحانه.

قال: «**وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ المَبَانِي**» يعني: لو كنت جاهلا ماذا تستفيد من هذا المال الذي شيدته وجمعته ولم تستفد منه؟!!

وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ المَبَانِي	**إِذَا بِالجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا**

إذا هدمتا بالجهل تلك المباني العظيمة. فلا يرتفع بناء الشخص وفكره وعقله ومكانته إلا بالعلم، حتى لو كان عنده ما عنده من المباني العالية.

فكأنه يقول لك: أنت أثرت وفضلت المال على العلم وبنيت المباني وهذه ما تنفعك، فأنت «**جَعَلْتَ المالَ فوقَ العِلمِ جهلاً** » في التفضيل، «**لَعَمْرُكَ في القضيةِ ما عَدَلْتَا**» يعني: هذا ظلم جائر فلا يمكن أن المال يَفضُل بحال من

الأحوال على العلم، وإنما العلم هو الذي يقوده والمال هو الذي يتبعه، لذلك أهل التجارة هم يتبعون أهل العلم، وهم الذين يسألونهم، وهم الذين يتأدبون معهم، فصاحب المال يبحث عن صاحب العلم، أما صاحب العلم فهو يبحث عما فيه رضاء الله، ويعلم الآخرين، ومن قرب من الله الله -عز وجل- رفعه وأعز مكانته، قال سبحانه-: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد.

٣٦- وَبَيْـنَهُمَا بِـنَصِّ الـوَحْيِ بَـوْنٌ سَتَـعْلَمُهُ إِذَا «طـه» قَرَأْتَـا

بسم الله الرحمن الرحيم، لما بين الناظم -رَحِمَهُ اللهُ- أن العلم يزيد على المال، وأفضل وأشرف من المال، وأقوى وأكرم وأجل وأبقى من المال؛ قال لك حتى الله -عزَّ وجلَّ- ذكر بأن العلم أفضل من المال.

قال: «**وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الوَحْيِ بَوْنٌ** » يعني: بين العلم والمال «**بِنَصِّ الوَحْيِ**»: القران «**بَوْنٌ**»: فرق كبير.

«**سَتَعْلَمُهُ إِذَا «طه» قَرَأْتَا**»: ستعلمه إذا قرأت سورة طه في قوله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

فتعلم حين ذاك أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أمر نبيه بأن يتزود من العلم ولم يأمره بأن يتزود من المال، والله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يريد لنبيه إلا ما هو خير، فلو كان المال خير من العلم لأمره الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالتزود منه، ولم يأمر الله -عزَّ وجلَّ- نبيه بالتزود بطلب الزيادة بشيء سوى العلم؛ فدل على أن العلم أفضل لا شك من المال، لو ما يأتيك إلا العلم يحرسك والمال أنت تحرسه، والمال يجلب لك الهم والعلم يأتي لك بالطمأنينة، المال يذلك عند الآخرين .... تبيع الأرض؟ تشتري السيارة بكم؟ أقل المبلغ؟ أنا محتاج، العلم يشرف بك هذا يجوز هذا ما يجوز، فبينهما فرق، والإنسان لا ير يد لنفسه إلا الكرامة ولا يريد لها الذلة والمهانة، قال:

٣٧- لَئِـنْ رَفَـعَ الغَنِـيُّ لِـوَاءَ مَـالٍ لَأَنْـتَ لِـوَاءَ عِلْمِـكَ قَدْ رَفَعْتَـا

إذا رفع الغني شعار بأنه غني أنت رفعت شعارا أفضل من شعاره وهو شعار العلم، هو يبين للناس أني صاحب مال وهم ما يرون منه شيء؛ ماله ليس ظاهرا

عليه، أما أنت فعلمك ظاهر عليك؛ تتكلم بفصاحة، ببلاغة، تبين، تظهر، أما ذاك فماله مكنوز غير ظاهر للناس.

٣٩ لَئِنْ جَلَسَ الغَنِيُّ عَلَى الحَشَايَا لَأَنْتَ عَلَى الكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا

قال: «**لَئِنْ جَلَسَ الغَنِيُّ عَلَى الحَشَايَا**» يعني: إن جلس على الفرش المحشوة من اسفنج وغيرها ومما هي مريحة؛ «**لَأَنْتَ عَلَى الكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا**» يعني: فأنت في المنازل العالية جلست، أفضل من الفرش الذي يجلس عليه الغني، والله يقول: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، أكثر من البسط؛ درجات في الدنيا وفي الآخرة.

فالعاقل، الرشيد، الحازم، الذكي، الموفق، هو من يجتهد ويبذل غاية جهده في طلب العلم؛ لأنه أشرف ما يمكن على وجه الأرض، أشرف ما يمكن؛ النبوة وانقطعت، فلم يبقى إلا ميراث النبوة، فمن قرب لأخذ ذلك الميراث هو أفضل من أوجده الله -عز وجل- من العلم والخشية.

نعم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رحمه الله-:

٤٠- **وَإِنْ رَكِبَ الجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ** **لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا**

٤١- **وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الغَوَانِي** **فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا؟**

٤٢- **وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا** **إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا**

قوله -رحمه الله-: «**وَإِنْ رَكِبَ الجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ**» يعني يريد أن يبين لك: لو رأيت غنيًا يركب خيل مسوَّمة، ومعلَّمة، وجميلة؛ فلا تلتفت لذلك فهي من زخرف الدنيا، فأنت قد ركبت ما هو أفضل من ذلك؛ وهو العلم.

«**وَإِنْ رَكِبَ الجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ**» وضع عليها سوم وعلامة لجيدها وجمالها، «**لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا**» كم من منهج، وعلم، وفن ركبتَه واستفدت منه؛ فهو شبَّه لك العلم بالمركوب، تركب هذا الفقه، والنحو، والحديث، والتفسير...وهكذا؛ فما تأخذه وتتجمل به من العلوم أفضل مما يتجمل به راكب الخيل.

ثم بعد ذلك قال:

«**وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الغَوَانِي**» يعني: مهما تزوج من النساء -صاحب المال- فأنت قد حصل لك ما هو أفضل منه؛ «**فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا؟**» كم معلومة أنت وصلت إليها وأخذتها؟ وكم من فائدة بحثت عنها ونلتها؟ فأنت خير منه، فأين زخرف ومتاع النساء من متعة ولذة وطاعة الإيمان والعلم ؟!

ثم بعد ذلك قال:

وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا

«**وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا**» يعني: أنت ما عليك من الأغنياء، ولا تنظر إليهم، ولا تقل لماذا أنا فقير؟ ففقرك ما يضرك، «**وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا**» يعني: ما يضرك الفقر، الإقتار هنا: الفقر، «**إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا**» عرفت ربك، وأطعته، وقربت منه، ولم تعصه؛ فهذا هو الغنى الحقيقي، فالغنى غنى الإيمان ونور الإيمان وليس بكثرة المال .

- نعم – والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

٤٣- **فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ**	**إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا**
٤٤- **فَقَابِلْ بِالقَبُولِ لِنُصْحِ قَوْلِي**	**فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا**
٤٥- **وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلاً وَفِعْلاً**	**وَتَاجَرْتَ الإِلَهَ بِهِ رَبِحْتَا**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ**»: فماذا عند الله لك من جميل في جنات النعيم كما قال سبحانه: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة:١٧]، وقوله-عليه الصلاة والسلام- في وصف الجنة: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[1]، فكل ما يخطر في قلبك في نعيم الجنة... لا، فيها أفضل منها كما قال سبحانه: ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾ [الزخرف:٧١]، فمن النعيم الله يقول إن رأيتوا هالنعيم لا تخافون فلن يزول عنكم، فإنه إذا رأوا النعيم يخشى أهل الجنة أن يخرجوا من هذا النعيم لما يرون فيه من النعيم المقيم، لذلك قال سبحانه: ﴿**لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا**﴾ [الكهف:١٠٨]، ما يطلبون ولا يريدون ويخشون أن يتحولوا من هالنعيم إلى غير هذا من عذاب ونحوه أو يبعدون عن الجنة، فمن دخل الجنة لا يخرج منها، لذلك قال:

فَمَاذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ	**إِذَا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا**

إذا أنت أقبلت على الله بطاعته؛ «**بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا**»، لأن الشخص إذا كان له حاجة عند البشر وهو مسافر يُنوِّخ ناقته عند باب من يطلب منه دينًا أو قرضًا

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٢٥)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أو حاجَة ونحو ذلك، فكأنه هنا يقول لك: أنخ بجسدك وقلبك عند باب الله واطلب منه الرضوان، وأكثر من طاعته «**بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا**»، ثم قال لما نصحتك:

«**فَقَابِلْ بِالقَبُولِ لِنُصْحِ قَوْلِي**» يعني : أنا نصحتك فلتكن النتيجة أن تقبل نصيحتي، «**فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا**»: إن أعرضت عن نصيحتي بعدم طلب العلم ولم تطلب العلم ولم تلحق بالصالحين ولن تعلو عنهم؛ فإنك قد خسرت بذلك.

ثم بعد ذلك بين أنك إذا أطعت ذلك وفعلته قولًا وفعلًا «**وَتَاجَرْتَ الإِلَهَ بِهِ رَبِحْتَا**» يعني: وإن فعلت ذلك وهو طلب العلم، وأقبلت إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- وعلى طاعته، وتاجرت بالعلم معه سبحانه؛ فهي من خير التجارات عنده -جَلَّ وَعَلَا-، «**وَتَاجَرْتَ الإِلَهَ بِهِ رَبِحْتَا**» فهي تجارة رابحة معه سبحانه وهي طلب العلم.

إذن: كأنه يقول لك: استمر في طلب العلم فهي تجارة رابحة وعالية، وسوف تذوق نعيمها ولذتها يوم القيامة، والله أعلم.

-نعم-، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم -رحمه الله-:

٤٦- فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ	تَسُوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتَا
٤٧- وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا	كَفَيْئِكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِذْ حَلَمْتَا
٤٨- سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ	فَكَيْفَ تُحِبُّ مَا فِيهِ سُجِنْتَا

يقصد بذلك -رحمه الله-: أن الدنيا لا تساوي شيئًا، ومن هوانها أن الله -عزَّ وجلَّ- لم يعطها نبيه ﷺ، فلما اختير أن يكون عبدًا رسولًا أو ملكًا رسولًا؛ أختار أن يكون عبدًا رسولًا.

فهو يقول لك: الدنيا لا تساوي شيئًا؛ فلا تذهب إلى مالها كما أخبرتك من قبل؛ بالإعراض، وإله عن المال وانصرف عنه، واطلب العلم؛ فالدنيا ليست بشيء فلا تذهب للمال وإنما اذهب لطلب العلم، لذلك قال:

«**فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ**» لماذا ليست بشيء؟ قال حالها: «**تَسُوؤُكَ حِقْبَةً** » يعني: أحزانها كثيره وطويلة، «**وَتَسُرُّ وَقْتَا**» يعني: أفراحها وقت يسير ثم يزول، يعني حزن ثم فرح ثم يأتيك حزن ثم فرح قليل حزن ففرح قليل؛ فأحزانها أكثر من أفراحها.

«**فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ**»، لو كانت شيئًا لكانت مليئة بالأفراح لكن غالب الدنيا مليئة بالأكدار، لذلك قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، كادح وتعابان، تتعب حتى تلاقي الله، وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] يعني: المشقة.

ثم قال:

«**وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا**» مع أن فيها أحزان وسرورها قليل «**إِذَا فَكَّرْتَ**» في هذه الدنيا وحالها؛ «**كَفَيْئِكَ**»، مثل الظل يزول، الظل في لحظة يزول، لك ظل في النهار ثم يزول ثم ينجلي؛ سريعة الزوال الدنيا.

«**كَفَيْئِكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِذْ حَلَمْتَا**»: لو شخص احتلم في الليل إنك تملك ملايين الدنيا ثم تستيقظ ما فيه شيء، فليس لك من حلمك إلا في منامك إذا استيقظت ليس لك، فليس لك من الدنيا شيء تزول سريعا مثل زوال ظلك، ومثل زوال أحلامك التي تراها في المنام.

ثم قال:

«**سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ**» يعني: الدنيا سجن المؤمن كما قال -عليه الصَّلاة والسَّلام-[(١)]، أنت مسجون في هذه الدنيا، لكن كأنه يقول: يؤسفنا أنك محب لهذا السجن وللدنيا وللمال فيها.

«**فَكَيْفَ تُحِبُّ مَا فِيهِ سُجِنْتَا**»، الشخص العاقل لا يحب سجنه، وإنما يحب الجنة التي هو فيها، إذن: يقول لك: اعمل واكدح في هذه الدنيا بالعمل الصالح، واحذر المال، فالمال وإن كان لك ما كان فأنت في سجن، فكيف تفرح بالدنيا وزينتها وزخرفها من أجل مالها وأنت في سجن ومن كان في سجن لا يفرح؟! فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والآخرة جنة المؤمن وسجن الكافر كما قال -عليه الصَّلاة والسَّلام-[(٢)] ،- نعم-، والله اعلم.

---

(١) قال -عليه الصَّلاة والسَّلام-: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)، رواه مسلم برقم (٢٩٥٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)

-نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رَحِمَهُ اللَّهُ-:

٤٩-	**وَتُطْعِمُـكَ الطَّعَـامَ وَعَـنْ قَرِيـبٍ**	**سَـتَطْعَمُ مِنْـكَ مَـا فِيهَـا طَعِمْتَـا**
٥٠-	**وَتَعْـرَى إِنْ لَبِسْـتَ بِهَـا ثِيَابًـا**	**وَتُكْـسَى إِنْ مَلَابِسَـهَا خَلَعْتَـا**

قوله -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَـنْ قَرِيـبٍ **سَـتَطْعَمُ مِنْكَ مَا فِيهَـا طَعِمْتَـا**

يعني: الآن الأرض تعطيك مما فيها من الخيرات، فتعطيك الثمار وتعطيك المأكولات والخضروات، لكنها تمهلك، تغذيك، فإذا مُتّ أخذت ما أعطتك منها؛ لذلك قال:

«**وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ**» تعطيك ما فيها من خيرات ما فيها من طعام - الأرض-، «**وَعَنْ قَرِيبٍ**» إذا مُتّ «**سَتَطْعَمُ مِنْكَ**» ستأكل منك «**مَا فِيهَا طَعِمْتَا**» ما أكلته فيها هي ستأكله منك.

يعني يقول: إن الدنيا غرَّارة وخدَّاعة لو أعطتك ما فيها من نباتٍ وخضرواتٍ ومالٍ ونحو ذلك سوف تأخذه منك؛ فكأنه دين لك .

وقال: «**وَتَعَرَى إِنْ لَبِسْتَ بِهَا ثِيَابًا**» يعني: الدنيا على غير حقيقتها، إذا ذهبت إليها وأعطتك من حالها فأنت تعرى حتى لو كان عليك أجمل الملابس؛ لأن الجمال في العلم والدين .

«**وَتُكْسَى إِنْ مَلَابِسَهَا خَلَعْتَا**» إذا خلعت ثيابها وابتعدت عن الدنيا حين ذاك: تُكسى، وتُجمَّل، وتُثنى، وتُمدح، وينالك التقوى؛ لأن الدنيا من قرب منها عرّته، ومن بعُد منها سُتر وأُثني عليه .

قال:

٥١- **وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنَ خِلٍّ　　كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ لِمَا شَهِدتَّا**

كل يوم تسمع بل قد تشاهد « **دَفْنَ خِلٍّ** » دفن صاحب لك تدفنه، وأنت تدفن وتشاهده « **كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ لِمَا شَهِدتَّا** » يعني: كأن أولئك هم اللي يموتون وأنت لن تموت، لا؛ فهو يقول لك: اعتبر فأولئك يموتون وأنت ستموت بعدهم، فاستعد للقاء الله -عزَّ وجلَّ- والعمل للآخرة، والاجتهاد فيه بالصالحات والأعمال الخيرة .

- نعم-، والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

- نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رَحِمَهُ اللهُ-:

٥٢- وَلَـــمْ تُــخْلَق لِتَعْمُرَهَـا وَلَكِــنْ ... لِـتَـعْبُــرَهَا فَجِــدَّ لِمَــا خُلِقْتَــا

٥٣- وَإِنْ هُــدِمَتْ فَزِدْهَــا أَنْــتَ هَــدْمًا ... وَحَصِّــنْ أَمْـرَ دِينِـكَ مَـا اسْـتَطَعْتَا

يقول-رَحِمَهُ اللهُ- في هذا: الله -عَزَّ وَجَلَّ- ما خلقك لتخلَّد في هذه الدنيا، وإنما خلقك في هذه الدنيا لأنها معبر وجَسر لأمر آخر وهو الآخرة؛ فهي مرحلة يسيرة وقصيرة، ومليئة بالأنكاد والهموم والمكائد، ومليئة بالفتن والمصائب؛ فما عليك فيها سوى الصبر والاستمرار في المسير، فالمسير قصير، ولأن المسير قصير يجب عليك أن تحافظ على هذا السير حتى تنتهي؛ فهو قصير و إما جنة و إما نار؛ لذلك قال:

«**وَلَمْ تُخْلَق لِتَعْمُرَهَا**» تجلس وتمكث وتَعمر هذه الأرض. ومن أخلد إلى هذه الأرض ندم؛ لأن ليست هذه مسكن، والنبي ﷺ يقول: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[(١)] هذه حقيقتها، «غريب»؛ تأتي تأخذ حاجة لك في البلد ثم تسافر، «أو عابر سبيل» في الطريق، مثل تذهب إلى مكة لا يمكن وأنت في الطريق أذن للصلاة أن تجلس وتبني بيت وتجلس فيه؛ لو جلست تَعمر فيه لوصفك الناس بالجنون ويقولون لك ليس هذا مسكنك! مسكنك عند أهلك، هذا معبر طريق فقط؛ لذلك هذه الدنيا كذلك .

وَلَـمْ تُـخْلَق لِتَعْمُرَهَـا وَلَكِـنْ ... لِتَعْبُــرَهَا فَجِــدَّ لِمَــا خُلِقْتَــا

فجد بالطاعة، والإكثار من العلم، والتزود بالصالحات، والسعي لرضى الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٤١٦)، من حديث عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

«**وَإِنْ هُدِمَتْ فَزِدْهَا أَنْتَ هَدْمًا**»: إذا هدمت هذه الدنيا وأعرضت عنك؛ فأعرض عنها ولا تلقي لها بالًا فإنك لم تخلق لها .

وَإِنْ هُدِمَتْ فَزِدْهَا أَنْتَ هَـدْمًا   وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْـتَطَعْتَا

اجعل همك هو الدين، والحفاظ عليه، وأن تضع عيله سياجًا لئلا يهدم، أو يخدش، أو يُضرّ بشيء، أما الدنيا فإن الواجب عليك الإعراض عنها ولو هدمت فإنه لا بأس بعد ذلك في هدمها .

٥٤- وَلَـا تَحْـزَنْ عَلَـى مَـا فَـاتَ مِنْهَـا   إِذَا مَـا أَنْـتَ فِـي أُخْـرَاكَ فُزْتَـا

قال: «**وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا**» الله يقول: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] .

وَلَا تَحْـزَنْ عَلَى مَـا فَـاتَ مِنْهَـا   إِذَا مَـا أَنْـتَ فِي أُخْـرَاكَ فُزْتَـا

إذا كنت عامرًا لآخرتك فلا تحزن على ما يفوتك من الدنيا، فالدنيا الذي يفوت فيها: إما أمر دنيوي والدنيا أقل من تحزن لأجلها، وإما أن يفوت أمر ديني فتحزن لذلك، وحزنك لها من أجل أمر الديني هذا يدل على يقظت قلبك، فإذا كان لأمر الدنيا لا تحزن؛ فهي أقل من أن يحُزن لها، وأمر الدين الواجب العمل فيه والسعي، لا أن يخَلد فيه إلى الحزن والبكاء والإعراض ونحو ذلك .

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

- نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رحمه الله-:

٥٥- **فَلَـيْسَ بِنَـافِعٍ مَـا نِلْـتَ مِنْهَـا** **مِـنَ الفَـانِي إِذَا البَـاقِي حُرِمْتَـا**

٥٦- **وَلَـا تَضْـحَكْ مَـعَ السُّـفَهَاءِ يَوْمًـا** **فَإِنَّـكَ سَـوْفَ تَبْكِـي إِنْ ضَـحِكْتَا**

٥٧- **وَمَـنْ لَـكَ بِالـسُّرُورِ وَأَنْـتَ رَهْـنٌ** **وَمَـا تَـدْرِي أَتُـفْدَى أَمْ غُلِلْتَـا؟**

لما بين -رحمه الله- الجد في طلب العلم وأن العلم هو المقدم على المال بدأ يواسك بأنك لو فقدت شيء من هذه الدنيا وزهرتها من مال أو منصب أو دراسة أو شهادة ونحو ذلك، أو أُعطيت مالا أو زوجة أو شهادة؛ فلا تفرح فليس المقصد بذلك فقط، بل إن المقصد أيضا هو طلب رضا الله -عز وجل- وعمارة الآخرة؛ لذلك قال:

«**فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا**» : من الدنيا، «**مِنَ الفَانِي**» : يقصد الدنيا.

«**فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا مِنَ الفَانِي**»، فما تجمعه في هذه الحياة فانٍ، وذاهب، وزائل.

«**إِذَا البَاقِي حُرِمْتَا**»-إذا كنت محرومًا-،«**البَاقِي**» المراد: بالعمل الصالح في الآخرة. «**إِذَا البَاقِي حُرِمْتَا**» فإذا حُرمت العمل الصالح فما تجمعه في هذه الدينا؛ فهو في حقيقته ذاهب وزائل.

ثم قال: «**وَلَا تَضْحَكْ**» يعني: جد في الدنيا، جد في طلب العلم والعبادة .

وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ يَوْمًـا **فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَـحِكْتَا**

يعني: إذا جلست في مجالس اللهو، وأضعت أوقاتك وعمرك؛ فسوف تبكي وتندم على تلك الأيام التي لم تغتنمها في طلب العلم، وفي حفظ المتون، وفي التزود من الصالحات والعلم النافع .

ثم قال لك: كيف تضحك وتجلس مع مجالس السفهاء وأنت ما تعرف ما هي عاقبتُك هل إلى جنة أم إلى نار؟! قال:

«**وَمَنْ لَكَ بِالسُّرُورِ وَأَنْتَ رَهْنٌ**» وأنت ما تدري هل أتفدى من النار وما تدخل النار، «**أَمْ غُلِلْتَا؟**» أم -أن كتابك- تأخذ كتابك بشمالك وتُغلّ؟ كما قال سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٥] فيأخذه بشماله ويُغلّ، فكيف تضحك وأنت ما تدري هل تفدى من النار، أم تكون من أصحاب النار وتأخذ كتابك -والعياذ بالله- بشمالك؟!

إذن: لا مجال للسرور في الدنيا؛ لأنك ما تعرف ما هي عاقبتُك، ولا يمنع أن الإنسان يفرح لكن بالفرح المشروع؛ فإن جاءته نعمة في الدنيا يفرح بها ويشكر الله - ﷻ- عليها، ويفرح أيضًا بما أتاه الله - عزَّ وجلَّ- من الهداية والاستقامة؛ كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨] . لذلك الله يقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق: ١٠-١١-١٢] .

-نعم-، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رَحِمَهُ اللهُ-:

٥٨- وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا ... وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا

٥٩- وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا ... بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى

«**وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا**» يعني: واسأل ربك في هذه الدنيا التوفيق في الدنيا والآخرة- سله التوفيق-.

«**وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا**» يعني: كن مخلصًا لله مبتهلًا متضرعًا مناديًا له بقلب خالصا له، لا تريد بذلك لا رياءً ولا سمعةً، وليس قلبك غافلًا عن دعائه فهو سبحانه لا يقبل الدعاء من قلب غافل.

قال:

وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا ... بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى

«**وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ**»: وإذا سجدت له ادع ربك مثل ما ناداه يونس بن متَّى، مثل ما ناده يونس -عَلَيْهِ السَّلَامُ-،«**بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى**» ذا النون بن متَّى هو يونس، فناده بالإخلاص، يونس بن متَّى نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فناداه بالتوحيد، والتضرع، والمسكنة له- سبحانه-.

قال:

٦٠- وَلَازِمْ بَابَهُ قَرْعًا عَسَاهُ ... سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا

يعني : أكثر من الدعاء؛ فالدعاء يقرع الباب، فإذا أكثرت من قرع الباب فإنه -سبحانه- حري «**سَيَفْتَحُ بَابَهُ لَكَ إِنْ قَرَعْتَا**» فإنه -سبحانه- حريٌّ أن يفتح لك الباب إن قرعته؛ فهو-جَلَّ وَعَلَا- كريم، وغني، وحميد، وودود، ولطيف، ورحيم،

-سبحانه وتعالى- وذو ودٍ ؛ فواجب عليك أن تكثر من الدعاء، وأن لا تمل، ولا تيأس، ولا تتضجر، ولا تسأم من عدم استجابة الدعوة؛ بل أكثر وأكثر و أكثر ، فهو سبحانه يسمع كل دعوة تدعوها؛ ولا تعلم ما الحكمة التي يؤخرها الله -عزَّ وجلَّ- في استجابة دعائك له، فقد يصرف عنك شرور عظيمة لا تخطر لك ببال، أو يدخرها لك في الآخرة، أو يعطيك مثلها؛ فأنت استمر على الدعاء حتى ولو لم تنل مطلوبك ولو سنوات، وأيقن بأن كل دعوة دعوتها بأنه-سبحانه- يسمعها، ولم يحرمك لما دعوته من عدم قدرة أو غنًا، لا، وإنما حرمك لحكمة أنت ما تعلمها؛ فالذي حرمك هو الرحيم، والذي حرمك هو الودود، والذي حرمك هو اللطيف، والذي حرمك هو الكريم .

فأنت ادع، وأحسن الظن بالله وداوم عليه قرع الباب حتى يفتح لك، ولا تيأس من ذلك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رحمه الله-:

٦١- **وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْبًا** **لِتُذْكَرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا**

٦٢- **وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالٌ** **وَفَكِّرْ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا**

قوله -رحمه الله-: «**وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْبًا**» يعني: أكثر من ذكر الله دائمًا، «**دَأْبًا**»: دائمًا، لماذا؟ «**لِتُذْكَرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا**»، فإذا ذكرت الله -عزَّ وجلَّ- في الأرض ذكرك الله –سبحانه- بالثناء عليك عند الملائكة في السماء؛ كما قال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال سبحانه : ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر: ١٩] . والنبي - عليه الصَّلاة والسَّلام- في الحديث القدسي قال: « وإن ذكرني في ملإ –يعني: في جماعة- ذكرته في ملأ خير منه»[1] يعني: في ملأ الملائكة في السماء؛ يعني: بالثناء عليه والمدح له .

ومما يرقق القلب هو الإكثار من ذكر الله؛ كما قال سبحانه ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرَّعد: ٢٨] .

والله سبحانه (أخبر أو) أمر بأن يذكر في جميع اليوم والليلة؛ كما قال سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩ -٤٠] يعني: في كل وقت .

وقال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١] ذكرًا كثيرًا. ومن أكثر من ذكره سبحانه كثيرًا -بإذن الله- يكون سببًا للبعد عن

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم بلفظ: «وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ هم خير منهم» رقم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

صفات المنافقين، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النِّساء: ١٤٢] يعني: في الصلاة، وأيضًا خارج الصلاة، فالمنافقون ذكرهم لله قليل .

وينبغي للمسلم أن يكثر من ذكر الله، وإذا أكثر المسلم من ذكر الله – سبحانه- مع حفظ الله له كما قال - عليه الصلاة والسلام-: «احفظ الله يحفظك»[1] يكون ذكره في أشد وأحلك الأحوال والمواقف؛ وهي سكرة الموت، فيكون ذكره لله يسير عليه فيه؛ لأنه قد اعتاد من ذكر الله –سبحانه-، والنبي- عليه الصلاة والسلام- ويقول: «من كان أخر كلامه من الدنيا دخل الجنة »[2]. فمن كان مواضبًا على الإكثار من ذكر الله يسهل عليه في تلك الحال الحرجة ذكر الله –سبحانه- والخروج من هذه الدنيا بذكر التوحيد؛ لذلك ينبغي للمسلم أن يعطر لسانه كثيرًا بذكره –سبحانه-، وأعظم الذكر: القرآن وكلمة التوحيد .

قال : «**وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالٌ**» يعني: اغتنم وقت شبابك ولا تقل أن أمامي فرصة واسعة أمامي من الزمن أتزود فيه من العلم، والتقى، والصلاح، وأتوب في آخر عمري، لا ؛ لأن الموت لا يعرف متى يتخطف المرء؛ كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤] ، وقال -جلَّ وعلا- : ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [المنافقون: ١٠]، وقال: ﴿بَغۡتَةٗ﴾، فالموت يأتي بغته؛ لذلك قال:

---

(١) رواه الترمذي في السنن برقم (٢٥١٦)، وفي مسند الإمام أحمد برقم (٢٦٦٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو داود في السنن برقم (٣١١٦)، ونصه: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، وفي مسند الإمام أحمد بلفظ:« وجبت له الجنة »، رقم (٢٢٠٣٤)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه .

«**وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ امْتِهَالٌ**» يعني: فيه مهلة؛ أمامي زمن إلى ستين عامًا ،لا؛ فقد يتخطف الموت المرء وهو صغير، يعني: كن مستعد للتوبة في كل لحظة من ليل أو نهار؛ كما قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[(١)].

قال: وإذا أردت أن تعرف أن الموت غير مضمون في تأخيره إلى بعد شيخوخة من السن؛ قال: أنت ترى بعينك «**وَفَكِّرْ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا**» فكم من صغير قد دفن، و دفنته بيدك، أو رأيته بعينيك قد حمل، فالموت لا ينظر لا إلى صغير ولا إلى كبير؛ بل قد يكون من يموت من الصغار هم أكثر عددًا ممن يموت من الكبار، ولا تعلم هل تعيش مع الكبار أم لا.

يعني: استعد لطلب العلم وللنقلة إلى الآخرة في كل لحظةٍ وحين، فالموت لا ينظر إلى العمر، وإنما بحكمة الله -عز وجل- يتخطف من يشاء وينزع روح من يشاء بعلمه وحكمته. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٨.

-نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رَحِمَهُ اللهُ-:

٦٣- وَقُـلْ: يَـا نَاصِـحِي بَـلْ أَنْتَ أَوْلَـى بِـنُصْحِكَ لَـوْ لِفِعْلِـكَ قَـدْ نَظَرْتَـا

٦٤- تُـقَـطِّعُنِي عَلَـى التَّفْـرِيطِ لَوْمًـا وَبِالـتَّفْرِيطِ دَهْـرَكَ قَـدْ قَطَعْتَـا

٦٥- وَفِـي صِـغَرِي تُخَـوِّفُنِي المَنَايَـا وَمَـا تَـدْرِي بِحَالِـكَ حَيْـثُ شِـخْتَا

الألبيري-رَحِمَهُ اللهُ- وضع في منظومته هذه مثل المحاورة، أحيانًا ناصح ينصح مقصر أمامه –منصوح-، وأحيانًا هذا المنصوح يعاتب الناصح ليوبخه وليكون قوله موافق لفعله؛ ليستعتب ويفعل الطاعات .

هنا يبدأ محاورة المنصوح الصغير أو المخطئ- هو يعاتب الناصح لما وقع ذلك الناصح في شيء من التقصير؛ لذلك قال: «**وَقُلْ: يَا نَاصِحِي**» وقل أيها المنصوح يا ناصحي! «**أَنْتَ أَوْلَى بِنُصْحِكَ**» أنت نصحتني أن أطلب العلم لكن رأيت منك تقصير في العلم! انصح نفسك لا تقصر في العلم، وأرى منك أنك تنصح الناس في الإكثار من العبادة، لكن أرى منك قصورًا في العبادة! أرى منك أنك تنصح الناس بكثرة تلاوة القرآن، لكن أنت تقصر -والعياذ بالله- في قلة تلاوة القرآن العظيم!

فهنا يجعل غيرَه يعاتبه؛ ليكون العتاب على النفس أشد، فكأن رجلًا مقصرًا يخاطب ذلك الرجل الصالح، ولا شك أن النصح من المقصر قد يكون أشد وقعًا من نصح الصالح لصالح، فلو - مثلًا- رجل يتأخر عن الصلاة وهو مستقيم، ولو أتاه رجل يدخن ويسبل ونحو ذلك، يقول: أنت رجل - ما شاء الله- مستقيم، لكن أراك آخر الصف! وأنا ليس حالي كحالك ومع ذلك أتي مبكرًا؛ هذا أشد في الوقع، لذلك «**وَقُلْ: يَا نَاصِحِي بَلْ أَنْتَ أَوْلَى بِنُصْحِكَ**» يعني: الكلام الذي قلته

لي أنت أولى به، «**لَوْ لِفِعْلِكَ قَدْ نَظَرْتَا**» لو نظرت لفعلك من القصور ونحو ذلك فأنت أولى بالنصح أن تنصحني به .

ثم قال: «**تُقَطِّعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَوْمًا**» يعني: دائمًا تلومني، كأنك تقطعني من شدة وكثرة ما تلومني به من التفريط في العبادة والتقصير .

«**وَبِالتَّفْرِيطِ**» أنت أيها الناصح وأيها طالب العلم «**دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَا**»؛ الدهر انقطع، زمنك وحياتك انتهت بتقصيرك، فأنت اجتهد في طلب العلم لا يفوتك طلب العلم حتى ولو كنت رجل صالح اجتهد في طلب العلم، أنت نصحتني فأنا الآن أنصحك .

ثم قال:

«**وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي المَنَايَا**» يعني: وأنا صغير، وأنا أصغر منك، تقول: انتبه لا يأتيك الموت -وأنا صغير-، لكن أنت الآن كبير «**وَمَا تَدْرِي بِحَالِكَ حَيْثُ شِخْتَا**» أنت الآن كبير ما تدري متى يأتيك الموت؟ أنت نصحتني وأنا صغير صح واستجبت لك، لكن أنت كبير الآن والموت قد يكون أقرب منك إليّ فلماذا لا تستعد بكثرة الطاعات والبعد عن السيئات؟

والمراد بذلك في هذه الأبيات جملة: أن طالب العلم ينبغي أن يكون قدوة صالحة لمن حوله في المجتمع، وقد تكون القدوة بالفعل أشد تأثيرًا من الحديث والدعوة بالقول، فإذا رأى الناس رجلًا صالحًا بتلاوته، وكثرة تعبده، وإتيانه للمسجد مبكرًا يتأثرون به حتى ولو لم يتكلم، وإذا تكلم كان أشد وقعًا في القلب ممن ابتعد عن الصلاح .

- نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم -رحمه الله-:

٦٦- **وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا** **فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكَثْتَا**

٦٧- **وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الخَطَايَا** **كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا**

٦٨- **وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيَّا أُمِّ دَفْرٍ** **وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا**

الآن ما زال المنصوح يعاتب الناصح، يقول: نعم أنت نصحتني وأنا صغير في السن لكن أنت أيضًا كبير رأيت في حالك تغيرًا من تقصير في العبادة وحب لدنيا، وأكثرت وقوع في الذنوب والخطايا، لذا وأنت في شبابك كنت مستقيمًا لكن الآن تغير شيءٌ من حالك؛ لذلك قال:

«**وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا**» يعني: كنت في صباك أنت الشيخ لتنصحني، كنت رجلًا مستقيمًا قدوة، «**فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكَثْتَا**» فما لك لما كبُرت وظهر الشيب فيك «**نَكَثْتَا**» أي: نقضت العهد، وهو عهد الاستقامة على هذ الدين.

ثم عاتبه، قال: «**وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الخَطَايَا**» يعني: وأنا صغير ما اقترفت خطايا، وأنت الآن كبير وبالغ وتفعل الذنوب؟! «**كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا**» يعني: أكثرت من الذنوب، فشبَّه الذنوب بالبحر الذي يغرق، كذلك الذنوب تغرق؛ ومما يدل على أنها تغرق الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشَّرح: ٢-٣] يثقل الظهر، ثقيل يعجزك المشي حتى في المشي الحسي هذا الذنب يعجزك؛ لذلك ترى صاحب الطاعة أقوى روحًا في المشي.

قال: «**وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيَّا أُمِّ دَفْرٍ**»، «**حُمَيَّا أُمِّ دَفْرٍ**»: هذا لقب يطلق على الخمر. يعني يقول: أنت تشرب الخمر أنا ما قد شربته، أو يريد بذلك الدنيا؛ يعني: لم

يشرب حب الدنيا في قلبي كما أُشربت في قلبك، لأن الدنيا من أسماءها أنها تُسكر؛ لذلك قال:

«**وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيَّا أُمِّ دَفْرٍ**» يعني: لم أشرب حب الدنيا في قلبي، «**وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا**» أي: أُشرب في قلبك حب الدنيا حتى سكرتا عن الخير وإتباع الخير والبعد من المعاصي، أو يريد بذلك الظاهر؛ يعني: أنا لم أشرب الخمر، وأنت شربتها حتى سكرتا، لكن قد يكون المعنى الأول أقرب، وهو المراد: أن قلبك قد أُشرب بالدنيا وزينتها، وأعرضتَ عن الآخرة، فيعاتبه ويقول له: لا تعرض عن الآخرة، بل أقبل على الآخرة وازهد في الدنيا -نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رحمه الله-:

٦٩- وَلَـمْ أَنْشَـأْ بِعَصْـرٍ فِيـهِ نَفْـعٌ   وَأَنْـتَ نَـشَأْتَ فِيـهِ وَمَـا انْتَفَعْتَـا

٧٠- وَلَـمْ أَحْلُـلْ بِـوَادٍ فِيـهِ ظُلْـمٌ   وَأَنْـتَ حَلَلْـتَ فِيـهِ وَانْتَهَكْتَـا

٧١- لَقَـدْ صَـاحَبْتَ أَعْلَامًـا كِبَـارًا   وَلَـمْ أَرَكَ اقْتَـدَيْتَ بِمَـنْ صَحِبْتَا

هنا الآن المنصوح يعاتب الناصح، يقول: أنت عشت في زمن علماء، وتدريس، وحِلق علم وما استفدت منهم الانتفاع الكبير! وأنا لم ألحق ذلك الركب من العلماء الأجلاء وانتفعت أكثر من نفعك، فلماذا فرطت في جانب العلم ولم تجالس العلماء؟!

كأنه يقول لك -المصنف-: انتبه أن يقول لك أحد هذا الكلام إذا كبرتا، ويقول لك أين أنت وأنت في المدينة! وحلقات طلبة العلم! وأنت ما تحفظ متون! ولا تحضر دروس أهل العلم! ولا تقرأ في كتب السلف! فانتبه وتدارك زمنك من الآن قبل أن تدار عليك الأيام وتسمع تلك الكلمة المؤلمة؛ لذلك قال:

«**وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ**»، وفيه علوم وطلبة علم، «**وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ**»: نشأت في المدينة، في المسجد النبوي، فيه حِلق، فيه عندك من يُحفِّظ المتون، وفيه المشايخ في الفنون؛ ومع ذلك قصرت باللهو واللعب وإضاعة الوقت «**وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا**».

ثم قال:

وَلَـمْ أَحْلُـلْ بِـوَادٍ فِيـهِ ظُلْـمٌ   وَأَنْـتَ حَلَلْـتَ فِيـهِ وَانْتَهَكْتَـا

يعني: أنت الآن تتكلم في هذا الرجل وفي هذا الرجل؛ تظلمه بالغيبة والنميمة وتكذب عليه، أنا حافظ نفسي منذ الصغر، فلماذا تتكلم في الناس وتظلمهم وتأخذ أموالهم وأنت رجل كبير ؟! وأنا صغير لا أفعل ذلك ؛ لذلك قال:

وَلَـــمْ أَحْلُـلْ بِـوَادٍ فِيـهِ ظُلْـمٌ   وَأَنْـتَ حَلَلْـتَ فِيـهِ وَانْتَهَكْتَـا

يعني: كأنك سكنت في بيت ظلم ، فيحذِّره من الظلم، وليس المراد من الظلم فحسب أخذ أموال الناس أو أراضيهم؛ بل من أعظم الظلم الغيبة والنميمة والوقوع في أعراض الناس بالحديث والكذب .

ثم قال:

«**لَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا**» يعني: في بلدك علماء كبار وجالستَهم وعرفتَهم ونظرت إليهم ومع ذلك مما يؤسَف «**..لَمْ أَرَكَ اقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا**»: لم تقتدي بهم في العبادة، ولا في العلم، ولا في الصلاح، فيجب عليك مصاحبة أهل العلم، وأن تقتدي بهم في الأمور الصالحة النافعة . -نعم- والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم- ¬-:

٧٢- وَنَادَاكَ الكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ وَنَبَّهَكَ المَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا

٧٣- وَيَقْبُحُ بِالفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى

هنا: هذا المنصوح ينصح الرجل الكبير المعلم، أو كبير السن، أو الأستاذ، يدعوه إلى التوبة لله -عزَّ وجلَّ- ؛ لذلك يقول:

«**وَنَادَاكَ الكِتَابُ**» إلى التوبة؛ «**فَلَمْ تُجِبْهُ**»، «**وَنَادَاكَ الكِتَابُ**»؛ كما في قوله : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١]، وقوله: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٤]، «..**نَادَاكَ الكِتَابُ**» ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨]؛ «**فَلَمْ تُجِبْهُ**».

«**وَنَبَّهَكَ المَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا**»: خرج الشيب فيك في رأسك وفي لحيتك إذنًا بدنو أجلك، وقرب رحيلك، ودخول قبرك، ومع ذلك ما انتبهت! فأيقظ نفسك وتب إلى الله -عزَّ وجلَّ- ؛ لذلك يقول ابن عقيل -رَحِمَهُ اللهُ-: -قال:- «الشيب مرض الموت»[1]. فإذا رأيت الشخص قد شاب فاعلم أنه قد مرض بالموت وأن الموت قريب منه .

ثم قال: «**وَيَقْبُحُ بِالفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي**»، «**يَقْبُحُ بِالفَتَى**» يعني: يَشين أن الشاب يفعل أفعال الصبيان من الإعراض عن العلم، والعبادة، والتزود من الصالحات، واللهو، واللعب؛ هذا أمر قبيح في حق الشاب، وأقبح من الشاب أنت يا كبير

(١)

السن الذي تفعل أفعال الشباب من الكسل في العبادة، و التواني! وفعل أفعال الشباب في العصيان، وإضاعة الوقت، واللهو! الشاب يُعاب عليه أن يفعل أفعال الصبيان، وأنت يُعاب عليك أن تفعل أفعال الشباب، والواجب عليك أن تقبل على الله -عزَّ وجلَّ- بكليتك، عبادةً، وعلمًا، وصلاحًا، وإصلاحًا، ودعوةً، وتعليمًا للآخرين .

ثم قال:

٧٤- وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا لِعَيْبٍ فَهْيَ أَجْدَرُ مَنْ ذَمَمْتَا

«**وَنَفْسَكَ ذُمَّ**» يعني: لا تتكلم في أعراض الآخرين، وإنما ذم نفسك بالتقصير والبعد عن الله -عزَّ وجلَّ-، «**وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا**»: لا تتكلم في أحد لعيب، «**وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ**» أحد لعيب فيه، فنفسك أجدر من نصحتها، وأجدر من ذممتها، وأجد ما لامتها؛ لذلك الله يقول: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة : ١-٢]، فيثنى على الشخص إذا كان يلوم نفسه؛ اليوم ما استيقظت إلا مع الأذان الفجر، ما صليت الوتر؛ يتحسَّر على ذلك الفعل، اليوم فاتتني راتبة قبل صلاة الفجر، اليوم ما صليت سنة الظهر القبلية تأخرت عن الصلاة... وهكذا، فيلوم الشخص نفسه عن التقصير، فالواجب على الشخص أن يتوب إلى الله-عزَّ وجلَّ-، وأن يفعل أفعال السابقين، ويقتدي بالأنبياء والصالحين، ويحافظ على وقته، ولا يتكلم في الآخرين، يحفظ لسانه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رحمه الله-:

٧٣	وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا	لِعَيْبٍ فَهْيَ أَجْدَرُ مَنْ ذَمَمْتَا
-٧٥	وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي	وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ لَمَا نَطَقْتَا
-٧٦	وَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا	لِذَنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْتَا
-٧٧	وَمَنْ لَكَ بِالأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ	أُمِرْتَ فَمَا ائْتَمَرْتَ وَلَا أَطَعْتَا

قوله-رحمه الله-: «**وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ**» يعني الآن ما زال المنصوح يعاتب الناصح؛ يقول لك: نعم صح أنت عاتبتني فرطت في العلم و الحفظ -المتون- والتقصير في العبادة، لكن أنت أحق باللوم وبذكر معايبي مني، «**وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ**» يعني: باللوم، وذكر المعايب وتعدادها .

«**وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي وَلَوْ كُنْتَ اللَّبِيبَ**»: ولو كنت أنت الرجل العاقل «**لَمَا نَطَقْتَا**» بنصحي، لنصحت نفسك ثم نطقت بنصحي؛ يعني: فكيف تنصحني وأنت مقصر؟! فمع نصحك لي افعل ما قصرتَ فيه ؛ لئلا تلام بالنقص والعيب .

قال: «**وَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا**» هنا المفعول متقدم على الفاعل؛ يعني ترتيب البيت: «**وَلَوْ بَكَتِ عَيْنَاكَ دِمَاءً**»؛ يعني ولو بكت عيناك ليست دمعًا وإنما دمًا «**لِذَنْبِكَ**» حسرة وندامة «**لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْتَا**» ونجوت من النار وتدخل الجنة .

«**وَمَنْ لَكَ بِالأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ**»: كيف تأمن وأنت عبد تموت على الإسلام أو غير الإسلام؟!

«**أُمِرْتَ**»: أمرك الله - عز وجل - «**فَمَا ائْتَمَرْتَ**»: نفذت أمره، «**وَلَا أَطَعْتَا**» ما أمرك الله - عزَّ و جلَّ- به؛ لذلك لا تغتر بكثرة عبادتك، ولا بخشيتك، ولا بطلبك

للعلم؛ بل هذا مما يحدوا بك إلى خشية الله والخوف منه أن تسلب عنك هذه النعمة عند الوفاة .

-نعم – والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رحمه الله-:

٧٨- **ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى**	**لِجَهْلِكَ أَنْ تَخِفَّ إِذَا وُزِنْتَا**
٧٩- **وَتُشْفِقُ لِلْمُصِرِّ عَلَى المَعَاصِي**	**وَتَرْحَمُهُ وَنَفْسَكَ مَا رَحِمْتَا**
٨٠- **رَجَعْتَ القَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوَا**	**لَعَمْرُكَ لَوْ وَصَلْتَ لَمَا رَجَعْتَا**

قوله -رحمه الله-: «**ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ**»، الذنب لا شك ثقيل على الجسد؛ كما قال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢-٣] . فالذنب يثقل في المشي، ويثقل على الحركة، ويثقل على الروح، والطائع أخفّ جسدًا وأخفّ روحًا لطاعته لله - عزَّ وجلَّ- ؛ لذلك قال:

«**ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ**» ومع ذلك «**وَلَسْتَ تَخْشَى لِجَهْلِكَ**»: فما خشيت ولا خفت؛ بسبب جهلك بالله - عزَّ وجلَّ- «**أَنْ تَخِفَّ**» يوم القيامة «**إِذَا وُزِنْتَا**» .

وهذا الميزان إذا كثرت الذنوب تخف أنت وترجُح ليس لك مقدار بسبب كثرت الذنوب، فإذا كثر الذنب يخف مثقالك وقدرك عند رب العالمين، ومن خفَّ ميزانه ثقل وعظم عند الله - عزَّ وجلَّ- وارتفع قدره عنده سبحانه؛ لذلك يقول هنا: ابتعد عن المعاصي؛ لئلا يوم القيامة تأتي وأنت نادم على ذلك الذنب .

ثم قال: «**وَتُشْفِقُ لِلْمُصِرِّ عَلَى المَعَاصِي وَتَرْحَمُهُ**» يعني: إذا رأيت شخصًا عليه ذنب تشفق عليه أن تأتيه عقوبة، وترحمه إذا مات على تلك الحال، وتخشى عليه أنه ينتكس ويزيد في الذنوب، ومع ذلك «**..نَفْسَكَ مَا رَحِمْتَا**».

يعني: أيها الرجل إذا رأيت على غيرك ذنبًا ؛ ارحم نفسك وأصلح حالك كما ترحم أنت ذلك الرجل، فأصلح حالك وأصلح وادع ذلك الرجل.

ثم قال: «**رَجَعْتَ القَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوَا**»، «**رَجَعْتَ القَهْقَرَى**» يعني: في الخلف؛ يعني: ما تقدمت في الطاعة؛ تفعل المعاصي .

«**وَخَبَطْتَ عَشْوَا**» يعني: تخبطت كما تتخبط الناقة العمياء، أو فأكثرت من المعاصي، أو«**وَخَبَطْتَ عَشْوَا**» يعني: أكثرت من فعل السيئات هنا وهنا وهنا، فأنت الآن رجعت وتخبطت في المعاصي .

«**لَعَمْرُكَ**»: هنا أقرب ما يقال فيها: أنها ليست من ألفاظ القسم، وإن كان تركها لا شك أولى وأفضل .

قال: «**لَعَمْرُكَ لَوْ وَصَلْتَ لَمَا رَجَعْتَا**» إليه؛ لهلكت ومتَّ؛ فاحذر أن ترجع، فجواب الشرط وهو قوله: «**لَوْ وَصَلْتَ لَمَا رَجَعْتَا**» محذوف، تقديره: لهلكت ولشقيت وتوعدت بالنار ونحو ذلك، فجواب الشرط: تهديد، فابتعد عن المعاصي فإنها هي التي ترجعك إلى الخلف، وهي التي تجعلك متخبطًا في أفعالك وأعمالك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

-نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

٨١- وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ ... وَنُوقِشْتَ الحِسَابَ إِذًا هَلَكْتَا

٨٢- وَلَمْ يَظْلِمْكَ فِي عَمَلٍ وَلَكِنْ ... عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَا

يعني كأنه يقول لك: ابتعد عن الذنوب والمعاصي، واعلم أنك حتى لو ابتعدت عن الذنوب والمعاصي ونوقشت الحساب فإنك تعذب؛ كما قال النبي -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-: « من نوقش الحساب فقد عذب فلما سألته عائشة إذن ما هو فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرة شر يره قال ذلك العرض»(١) عرض الأعمال، لكن لو نوقش الشخص على كل نعمة أُنعم عليه بها وما شكرها؛ عُذِّب، وكل شر صُرف عنه يحاسب عنه ذلك العبد بتلك النعمة؛ عُذِّب، فضلًا عن كثرة الذنوب والمعاصي وترك الواجبات .

لذلك قال: «**وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ**» يعني: لو أقبلت على الله وأنت ما عملت ولا ذنب لكن نوقشت الحساب؛ فإنك سوف تعذب .

قال: «**وَنُوقِشْتَ الحِسَابَ إِذًا هَلَكْتَا**» تهلك؛ لأنك نوقشت الحساب هذا وما عليك ذنب فكيف لو عليك ذنب؟ وكيف يوجد عندك ذنوب؟

ثم قال: «**وَلَمْ يَظْلِمْكَ** [ربك]» يعني: ما ظلمك الله - جَلَّ وَعَلَا- بسبب ذنب، «**وَلَكِنْ عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَا**»: عسير عليك ما حملته من الذنوب

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٣٦)، ومسلم بلفظ: «من حوسب يوم القيامة، عذب» فقلت: أليس قد قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق : ٨] ؟ فقال: ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»، رقم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

والخطايا، والله - ﷻ- ما ظلمك، لكن هذا ما اقترفته يداك. إذن: ابتعد عن الذنوب والمعاصي والخطايا .

-نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

٨٣- وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الحَشْرِ فَرْدًا	وَأَبْصَرْتَ المَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى
٨٤- لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا	عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا
٨٥- تَفِرُّ مِنَ الهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ	فَهَلَّا مِنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْتَا

المؤمنون في الجنة ليسوا على مرتبة واحدة، وإنما درجاتهم تعلو على حسب إخلاصهم وأعمالهم لله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ كما قال سبحانه: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣] .

فمنزلة كل شخص على حسب عمله. وقال النبي ﷺ : «إن أهل الجنة ليتراءون -يعني: منازلهم- كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في السماء»[(١)] كوكب صغير في السماء ؛ انظر إلى ذلك الكوكب، يقال أيضًا يوم القيامة: انظروا إلى ذلك المكان العالي هو منزل فلان بن فلان؛ لعلو منزلته عليهم. فالناس في الجنة لهم درجات غير نجاتهم من النار، لهم درجات في الجنة، لذلك لله -سبحانه وتعالى- وصف ذلك اليوم بيوم التغابن، يغبن فيه الناس بعضهم بعض؛ هذا أفضل مني هذا أرفع مني...؛ كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩] .

فإذا كان أهل الإيمان درجاتهم عالية وتتفاوت؛ يجب عليك أن تسعى لأن تكون من أرفع الدرجات -ومع الحشر-، وأن تكون من أهل الفردوس الأعلى

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٥٥)، ومسلم برقم (٢٨٣٠)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

من الجنة ؛ لذلك قال المصنف حاثًا لك على كثرة الطاعات -فسبق أن يحذرك من المعاصي، الآن يأمرك بالطاعات-؛ قال:

«**وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الحَشْرِ فَرْدًا**» لوحدك، ما ينفعك لا مال، ولا ينفعك بنون، ولا بنفعك جاه، ولا منصب، ولا نسب. «**وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الحَشْرِ فَرْدًا**»: لوحدك، «**وَأَبْصَرْتَ المَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى**»: جنان مرتفعة بعضها على بعض، هناك: «**لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا**»: تندم بلهف وحسرة، تود أنك لو تزودت من الصالحات لتعلو درجتك .

والدرجات التي يعلو فيها المؤمن في الجنة هي بحسب أيامه هذه ولحظاته؛ يحضر دروس العلم، يصلي، يزكي، يصدق، هنا يبني آخرته، ودرجاته، وجناته .

لَأَعْظَمْـتَ النَّدَامَـةَ فِيـهِ لَهْفًـا عَلَى مَـا فِي حَيَاتِـكَ قَـدْ أَضَـعْتَا

تندم على إنك فرطت في هذه الحياة وندمت فيها .

ثم قال: «**تَفِرُّ مِنَ الهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ**» يعني: أنت تهرب من شدة الحر، وتتقيه من رأسك، «**فَهَلَّا مِنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْتَا**» يعني: فهلا هربت من أسباب دخولك نار جهنم؛ وهي ترك السيئات، والاستعانة بالله على فعل الطاعات؟

فهو يقول لك: أكثر من الطاعات وابتعد عن المعاصي؛ لتنجو من النار، ولترتفع درجاتك في جنات النعيم . - نعم- والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم- ¬-:

٨٦- **وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَهَا عَذَابًا**	**وَلَوْ كُنْتَ الحَدِيدَ بِهَا لَذُبْتَا**
٨٧- **وَلَا تُنْكِرْ فَإِنَّ الأَمْرَ جِدٌّ**	**وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا**

لما ذكر- ¬- أن الإنسان يفر من الهجير فيجب عليه أن يفر -أيضًا- من جهنم، لماذا يفر من جهنم؟ لأنك لست تطيق عذابها.

قال: «**وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَهَا عَذَابًا**»، فأهون أهل النار عذابًا أبو طالب؛ تحت قدميه جمرتان يغلي منهما -والعياذ بالله- دماغه، قال: النبي-عليه الصَّلاة والسَّلام-: «إنه أهون الناس عذابًا وهو يظن أنه أشدهم عذابا»[(١)].

قال: «**وَلَوْ كُنْتَ الحَدِيدَ بِهَا لَذُبْتَا**» ، كما قال سبحانه: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ**﴾ [التَّحريم: ٦] . وقودها الناس والحجارة. أقوى المعادن التي لا تذيبها النار؛ الحجارة . فالله -عز وجل- يقوي جسد العبد في جهنم -والعياذ بالله- ليطيق عذاب جهنم، ومع ذلك لا يطيق الإنسان هذا العذاب الشديد، بل جلده ينضج ويشوى شويًا شديدًا، ويبدِّل الله - عز وجل- له جلدًا جديدًا؛ كما قال الله سبحانه: ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ** ﴾- والعياذ بالله- ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا**﴾ [النساء : ٥٦] .

ثم قال: «**وَلَا تُنْكِرْ**» هذه حقيقة؛ النار حارة ، كما قال سبحانه: ﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ** ﴾ [القارعة :١٠-١١] .

---

(١) رواه مسلم برقم (٢١٣)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

«**وَلَا تُنْكِرْ فَإِنَّ الأَمْرَ جِدٌّ**» يعني: فيه جنة وفيه نار، «**وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا**» بأن الأمر هوى، واتباع هوى، ولعب، ولهو، وليس فيه حساب، وليس فيه قصور؛ بل إنه جد، وحساب، وميزان، وجنة، ونار، ونعيم، وعذاب ، فإذا علمت الأمر ذلك؛ يجب عليك أن تستعد لذلك الموقف العظيم لتكون من عباد الله السعداء .

-نعم- والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رَحِمَهُ اللهُ-:

٨٨- «أَبَا بَكْرٍ» كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيْبِي ... وَأَكْثَرَهُ وَمُعْظَمَهُ سَتَرْتَا

٨٩- فَقُلْ: مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ المَخَازِي ... وَضَاعِفْهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا

الآن يخاطب هذا المقصر ذلك الرجل الناصح، ولقب الناصح بأنه أبو بكر، فهو يوبخ نفسه -هذا المتكلم- كأن ذلك الناصح قد نصحه، والآن يؤيده على نصيحته، ويقول له:

«**أَبَا بَكْرٍ**» بعد أن نصحتني؛ أنت ذكرت فيّا هذا العيب لكن عندي عيوب كثيرة ربي سترها عليّ؛ والمفترض أنني أتوب وأرجِع إلى الله، لكن لفرط جهلي ما تبت إليه، وإن شاء الله سوف أتوب إليه وألتجأ إليه حالًا؛ لذلك قال:

«**أَبَا بَكْرٍ**» **كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيْبِي**» يعني: ذكرت أقل مساوئي وما فيّ من المعايب، «**وَأَكْثَرَهُ وَمُعْظَمَهُ سَتَرْتَا**» يعني: أكثر العيب ومعظم العيب وما فيّ من المساوئ والذنوب سترتها علي؛ وهذا لحسن كرمك، فلم تذكر لي سوى ذنب واحد لعلي أتوب إلى الله.

ويؤنب نفسه فيقول: «**فَقُلْ: مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ المَخَازِي وَضَاعِفْهَا**» يعني: عاتبني عتابًا شديدًا، «**فَقُلْ: مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ المَخَازِي**» والتقصير، وضَعِّف في التأنيب وأكثر من تلك الخطايا التي أفعلها؛ فإنك قد صدقت، فقد فعلت كل ذلك لكني أتوب إليه -سبحانه وتعالى- وألتجأ إليه.

٩٠- وَمَهْـمَا عِبْتَنِـي فَلِفَـرْطِ عِلْمِـي   بِبَاطِنِـهِ كَأَنَّـكَ قَـدْ مَـدَحْتَا

يعني: «**وَمَهْمَا عِبْتَنِي**» وذكرت فيّا من المساوئ «**فَلِفَرْطِ عِلْمِي**» بصدق ذلك.

«**فَلِفَرْطِ عِلْمِي بِبَاطِنِهِ**»: فهي ذنوب باطنه سترها الله - عزَّ و جلَّ- علي .

«**فَلِفَرْطِ عِلْمِي بِبَاطِنِهِ كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا**»: فلما ذكرت ليّ هذه المعايب والمساوئ كأنك تمدحني؛ لأنها ليست ببهتان، وليست كذبًا، بل هي حقيقه وواقعه فيّ، وأنا سوف أقلع وأتوب إلى الله - عزَّ و جلَّ- من تلك الذنوب والخطايا .

لهذا يجب على الشخص أن لا يغتر بكرم الله وحلمه، وستره، ولطفه، ورأفته، ورحمته، وهو سبحانه مع ذلك شديد العقاب، وقوي، وإذا أخذ الظالم لم يفلته، فالشخص يجب أن يكون شديد المراقبة لله -عزَّ وجلَّ-، وشديد الخوف منه - سبحانه- في خلواته وفي جلواته.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رحمه الله-:

٩١- فَلَا تَرْضَ المَعَايِبَ فَهْوَ عَارٌ عَظِيمٌ يُورِثُ المَحْبُوبَ مَقْتَا

«**فَلَا تَرْضَ المَعَايِبَ**» يعني: لا ترضى الخطايا ولا السيئات ولا الذنب، ولا الولوغ في الأمور الغير المحمودة، فإنك إذا وقعت في مثل هذه الأمور ورضيت بها، ويذمك الناس وترضى بذلك؛ «**عَارٌ عَظِيمٌ**»: ذنب عليك شديد «**يُورِثُ المَحْبُوبَ مَقْتَا**»: الناس الذين يحبونك يكرهونك؛ لأنهم علموا أن فيك خصلة قبيحة من فعل الذنوب والخطايا، وفعل أمور لا تحمد بك .

قال:

٩٢- وَيَهْوِي بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا وَيُبْدِلُهُ مَكَانَ الفَوْقِ تَحْتَا

«**وَيَهْوِي بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا**»، «**وَيَهْوِي**»: يسقط. «**الوَجِيهِ**» يعني: الرجل العالي، وطالب العلم، والنزيه. «**مِنَ الثُّرَيَّا**»، «**الثُّرَيَّا**»: نجم عالي في السماء، ويستخدمه الناس في مضرب المثل في البعد .

«**وَيَهْوِي بِالوَجِيهِ**» يعني: الرضى بالمعايب. «**وَيَهْوِي بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا**»: يسقط من أعين الناس .

وَيَهْوِي بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا وَيُبْدِلُهُ مَكَانَ الفَوْقِ تَحْتَا

«**وَيُبْدِلُهُ مَكَانَ الفَوْقِ تَحْتَا**»: بدل أن كان فوق والناس يشيرون إليه بالبنان وطلب العلم والعبادة والزهد؛ يصبح حين ذاك تحت، فتسقط مكانته وتسقط وجاهته والسبب: فعل المعاصي والسيئات؛ لذلك قال: «**فَلَا تَرْضَ المَعَايِبَ فَهْوَ عَارٌ**» .

ثم قال:

٩٣- كَـمَا الطَّاعَـاتُ تُبْـدِلُكَ الـدَّرَارِي وَتَـجْـعَلُكَ القَرِيـبَ وَإِنْ بَعُـدتَّا

«**كَمَا الطَّاعَاتُ تُبْدِلُكَ الدَّرَارِي**» يعني: كما أن فعل الطاعات تبدل مكانك المنخفض؛ تجعلك في مكان دُريّ عال . «**الدَّرَارِي**»، الدُّر: الشيء المكان العالي، كما قال النبي ﷺ: كالنجم الغابر في الدر ينظر بعضهم إلى بعض».[١] في المكان العالي.

كَمَا الطَّاعَاتُ تُبْـدِلُكَ الدَّرَارِي وَتَجْعَلُـكَ القَرِيـبَ وَإِنْ بَعُـدتَّا

«**تَجْعَلُكَ القَرِيبَ**» من الناس وإن كنت بعيدًا عنهم في النسب، أو في المال، أو في الوجاهة، وكذلك الطاعات تجعلك قريب من الله - ﷻ- وإن لم يكن بينك وبين الله لا حسب ولا نسب؛ والسبب في القرب من الله ومن قلوب عباده هي الطاعات ؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

«**كَمَا الطَّاعَاتُ تُبْدِلُكَ الدَّرَارِي**» ؛ كما قال النبي ﷺ: «نجم الغابر في الأوفق»[١]. الغابر البعيد في الأفق الدر، الطاعات كذلك؛ ترفعك مكان عالي وبهي؛ بسبب الطاعة، وتحفظ الشخص -بإذن الله- من الفتن والسيئات .

لذلك ينبغي؛ بل يجب على الشخص أن يبتعد عن المعاصي، ويجب على الشخص -أيضًا- أن يفعل الطاعات ؛ لئلا تسقط مكانته، وكما قيل: البشر يُعيِّر والرب يغفر. فلا تفعل السيئات حتى لا يُعيّرك البشر وإن كنت قد فعلت هذا

(١)

الذنب قبل خمسين، أو ثلاثين، أو عشرين سنة؛ فالبشر يعيرون . - نعم-، والله أعلم .

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٥٦)، ومسلم برقم (٢٨٣١)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

-نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رحمه الله-:

٩١ كَـمَا الطَّاعَـاتُ تُبْـدِلُكَ الـدَّرَارِي وَتَـجْـعَلُكَ القَرِيـبَ وَإِنْ بَعُـدتَّا

٩٤- وَتَنْشُـرُ عَنْـكَ فِـي الدُّنْيَـا جَمِيلًـا وَتَلْقَـى البِـرَّ فِيهَـا حَيْـثُ شِـئْتَا

لما ذكر-رحمه الله- بأن المعاصي تهوي بك وتذلك وتجعلك حقيرًا في هذه الدنيا- بين لك محاسن الطاعات، فالطاعات «**تُبْدِلُكَ الدَّرَارِي**»، وتجعلك درًا مضيئًا، عاليًا، شريفًا، «**وَتَجْعَلُكَ القَرِيبَ**» من القلوب «**وَإِنْ بَعُدتَّا**» عن الأبدان.

ثم قال: «**وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا**» يعني: تبقي لك الذكر الجميل في هذه الدنيا، وينصع طيِّبك بفضل هذه الطاعات.

وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَـا جَمِـيلًا وَتَلْقَى الـبِرَّ فِيهَـا حَيْـثُ شِـئْتَا

-يعني- «**وَتَلْقَى البِرَّ فِيهَا حَيْثُ شِئْتَا**» يعني: أينما تتوجه تلقى الخير بسبب الطاعة، إذا توجهت إلى هذا المكان تتيسر لك الأمور بسبب الطاعة.

«**وَتَلْقَى البِرَّ فِيهَا حَيْثُ شِئْتَا**»: أي مكان شئت تذهب إليه؛ تجد فيه الخير، والبر، والتيسير بفضل الطاعات لله - عزَّ وجلَّ-.

قال:

٩٥- وَتَمْشِـي فِـي مَنَاكِبِهَـا عَزِيـزًا وَتَـجْنِي الحَمْدَ فِيمَـا قَدْ غَرَسْتَا

«**وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا عَزِيزًا**»: المناكب: الطرقات يعني. يعني: وتمشي في هذه الدنيا وأنت عزيز شامخ الرأس، رافع العنق؛ بسبب الطاعة .

«**وَتَجْنِي الحَمْدَ فِيمَا قَدْ غَرَسْتَا**» يعني: تجني وتقطف الحمد والثناء وحب الناس لك «**فِيمَا قَدْ غَرَسْتَا**» فيه من الخير، فكل مكان غرست فيه خيرًا، وتعليمًا،

وكتابًا، ونصحًا، ونحو ذلك ؛ تجني ثمرة ذلك ولو بعد حين؛ بسبب الطاعة لله - عزَّ وجلَّ-، فالطاعة لا تأتي إلا بخير؛ لذلك أمر الله بها خير الخلق وهم الأنبياء، والمعصية لا تأتي إلا بشر؛ لذلك حذر الله منها جميع الخلق .

فعلى طالب العلم خاصة أن يتزود من الطاعات ويتقرب إلى الله -سبحانه وتعالى-لأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أعطاه مهمة عظيمة ثقيلة وهي: تعليم الناس وإرشادهم ونصحهم .

وأول أمرٍ أمرَ الله - عزَّ وجلَّ- به لما نزل عليه الوحي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [المزمل: ١-٢] تعبّد لله سبحانه .

ينبغي لطالب العلم أن يكثر من الطاعات والعبادة لله - عزَّ وجلَّ- أكثر من غيره . -نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

٩٦- وَأَنْـتَ الآنَ لَـمْ تُعْـرَفْ بِعَيْـبٍ ... وَلَـا دَنَّسْـتَ ثَوْبَـكَ مُـذْ نَشَـأْتَا

٩٧- وَلَـا سَابَقْـتَ فِـي مَيْـدَانِ زُورٍ ... وَلَـا أَوْضَعْـتَ فِيـهِ وَلَـا خَبَبْتَـا

٩٨- فَـإِنْ لَـمْ تَـنْأَ عَنْـهُ نَشِـبْتَ فِيـهِ ... وَمَـنْ لَـكَ بِالْخَلَـاصِ إِذَا نَشِـبْتَا

-نعم- بسم الله الرحمن الرحيم .

الإنسان أول ما يخرج من هذه الحياة يخرج طيب السمعة، عالي المكانة، نظيفًا من الأعمال، ثم منهم من يعصمه الله -عزَّ وجلَّ- فيستمر على هذه الحال فينصع طيّبه، ومنهم من يتدنس بوحل المعاصي والذنوب؛ يُعير ببعضها ويَخفى عن أسماعه بعض ما وقع فيه من المعايب، ثم يعيش في المجتمع ذليلًا بسبب ما يقع فيه من تلك المعاصي .

وهو الآن يخاطب من هو في أعمارکم وأسنانكم، يقول: أنت الآن شاب، ناصع، نظيف السمعة، ما حدثت في أمر يُمسك عليك من المعاصي أو تُعيَّر به؛ فهو يقول: استمر على ذلك الفعل؛ لأنك لو وقعت في شيء من ذلك لا تستطيع أن تتخلص منه؛ لهذا قال:

«**وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَيْبٍ**» يعني: أنت الآن ما وقعت في عيب ومعصية، «**وَلَا دَنَّسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا**» يعني: ما دنست بدنك، المراد بالثوب هنا: يكنى به عن الذنوب والمعاصي؛ كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ١-٤]، يعني: طهر جسدك وقلبك .

قال: «**وَلَا دَنَّسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا**»: ما دنست لا ثوبك، ولا سمعتك، ولا جسدك بشيء من المعاصي .

قال: «**وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ**» يعني: ما وقعت في أمور أو ما جالست مجتمعًا فيه معاصٍ. هنا: «**وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ**» يعني: ما جالست في مجتمع فيه معاصٍ من زور ونحو ذلك، أو سابقتهم في فعل المعاصي .

قال:

وَلَا سَابَقْـــتَ فِي مَيْــدَانِ زُورٍ وَلَا أَوْضَـعْـتَ فِيـهِ وَلَا خَبَبْتَـا

يعني: وما أنت معهم، وما فعلت معصية قليلة ولا كثيرة، ولا وضعت فيه شيء يسير إذا تأخرت .

«**وَلَا خَبَبْتَا**»: السرعة في المشي. يعني يقول لك: أنت رجل نظيف لم تقع في مجتمع أو مجلس فيه معصية، ولم تفعل أي معصية؛ لم تكن فيها أنت السَّبَّاق ولا أنت المتأخر، فلم تكن في تلك المجالس الموبوءة .

ثم قال لك: «**فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ**» يعني: إن لم تنهى عن العيب - الذي في أول البيت «**وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَيْبٍ**»- .

قال: «**فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ**» يعني: إن لم تنأ عن ذلك العيب الذي قد تُعيَّر به والخطيئة؛ «**نَشِبْتَ فِيهِ**» خلا ص يُمسك عليك؛ أنت نسيت؟ كنا في سفر ما صليت ونقول لك تصلي ما تأخر عن الصلاة ، نسيت فعلت كذا...؟ نسيت أنك فعلت كذا...؟ تُعيَّر «**فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ**».

قال: «**وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا**»: إذا عُيِّرت به؛ كيف تتخلص منه؟ فهو يقول لك: من الآن حافظ على نفسك لئلا تقع في شيء من المعاصي أو الذنوب ؛ لئلا تعير بذلك؛ لذلك قال:

«**وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَيْبٍ**»؛ فاستمر على النصاعة، وعلى النظافة، والنزاهة والعلو؛ لئلا يُمسك عليك ذنب. وأنت لا تنظر للبشر، وإنما هو الآن يحذرك من المعاصي، وكما قيل: الرب يغفر والبشر يُعير. فأنت لا تغترف أي معصية حتى لا تقع في شِراك المعاصي والمأثم وسوأتِها . -نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

-نعم- قال -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

٩٩- فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ ... وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا

«**فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ**» يعني: العيب، لأنه أشار إليه من قبل «**وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَيْبٍ**».

«**فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ**» يعني: العيب والذنوب وتبتعد عنها؛ «**نَشِبْتَ فِيهِ**»، وإذا نشبت فيها وعُيِّرت فيها «**وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا**».

١٠٠- تُدَنِّسُ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى ... كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا

-يعني- «**تُدَنِّسُ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ**» يعني: تدنس سمعتك؛ فسمعتك طاهرة لكن إذا وقع الذنب وفعلت الذنب تدنس تلك السمعة، «**حَتَّى كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا**»: حتى كأنك قبل ذلك ما عملت صالحًا عند الناس، فتدنس تلك السمعة.

ثم قال: إنك تجعلك أسير.

١٠١- وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ ... وَكَيْفَ لَكَ الفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا

تجعلك «**أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ**» يعني: ما تجعلك أسير فقط، لا، أسير يعني: شبَّه الذنب بالرجل الأسير؛ يعني: في الأسر محبوس، لا ليس محبوسًا فقط؛ بل وهو محبوس موثّق اليد والقدمين-مربوط اليد والقدمين-؛ وهذا حال الذنب يجعلك أسيرًا، وأنت أسير موثوق الذنب.

قال: «**وَكَيْفَ لَكَ الفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا**»: كيف تفك نفسك وأنت في الأسر ما عندك أحد يفكك ؟! فأنت مربوط بالذنب، وأنت أسير.

والناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- يدعوك إلى مجانبة السيئات؛ لأنك ستُعيَّر بها، وإن عُيِّرت بها حتى ولو كنت طاهرًا وتعمل صالحًا وخيرًا كثيرًا، لكن الذنب السيء يُمحي سمعتك ويؤثر على سيرتك؛ لذلك يجب على الشاب، ويجب على كبير السن -أيضًا- أن يبتعد عن الذنوب خاصةً وعامة الظاهر منها والمخفي، وأن يحسن العبد سريرته وظاهره . -نعم- والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

- نعم- بسم الله الرحمن الرحيم .

الرُّفقة لا تخلو إما أن تكون صالحة أو غير صالحة، إذا كانت صالحة؛ فتمسك بها وأعتز بها ولازمها ولتكن أنت وإياها معينة على الخير وتعينك أنت -أيضًا- على الخير، وإذا كانت الرُّفقة سيئة؛ فابتعد عنها وجانبها وخف منها واخشها .

والناظم -رحمه الله- هنا: يحذر من تلك الرُّفقة السيئة سواء كانوا من جيران أو من أقارب الإنسان؛ يَحذرهم، يؤدي حق الله - عز وجل- فيهم في القرابة، ولا يكثر المكث فيهم يَخشى من أن يفسدوا عليه أمره، ويجب عليه دعوتُهم وإصلاحُهم. وبيَّن الناظم -رحمه الله- هنا: القسم الثاني ، وهي الرُّفقة غير الصالحة؛ لذلك قال:

١٠٢- فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُم كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى

«**فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُم**»، «**فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ**» يعني: خف منه؛ لئلا يضروك في دينك، «**وَاخْشَ مِنْهُم**»؛ لئلا يفسدوا عليك أخلاقك ونحو ذلك، «**كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ**»، «**الضَّرَاغِمَ**»: جمع ضرغم؛ وهو الأسد. «**والسَّبَنْتَى**» يعني: النمر. كما تخشى أن الأسد يفترسك والنمر يفترسك -أيضًا- ويحدث فيك أمورًا لا تحمد؛ اخشى أيضًا تلك الرُّفقة السيئة .

قال:

١٠٣- وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَارًا وَكُنْ كَـ«السَّامِرِيِّ» إِذَا لُمِسْتَا

«**وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَارًا**»، «**..خَالِطْهُمْ**» إن احتجت إليهم كالقرابة ونحو ذلك، أو في الشراء، «**وَزَايِلْهُمْ**» يعني: مل إليهم «**حِذَارًا**»: وأنت حذر من أن يفسدوا عليك أمرك .

«**وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَارًا**» كما أن السامري يَخشى أن يمتنع من السلام ومخالطة الآخرين به . السامري: مثل ما قال الله- عزَّ وجلَّ- أخبر عنه: ﴿ **قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ** ﴾ [طه: ٩٧]. فإذا أراد السامري أن يُسلِّم عليك أو يقرب منك احذره، فالسامري خففت عنه العقوبة بأن قيل له: اذهب لكن من سلَّم عليك لا تمد يدك إليه، كذلك الرفيق السيء احذره وابتعد عنه، «**وَكُنْ كَـ (السَّامِرِيِّ) إِذَا لُمِسْتَا**»: إذا لمُس السامري يبتعد؛ فابتعد عن الرُّفقة السيئة التي تضرك .

الآن ابتعد عنهم وهم لن يضروك بشيء، فإن أضروك «**وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ: سَلَامٌ**» يعني: إن جهلوا عليك وأخطئوا عليك؛ ابتعد عنهم لا تقابلهم بمثل سوءتهم .

١٠٤- وَإِنْ جَـهِلُوا عَلَيْـكَ فَقُـلْ: سَـلَامٌ لَعَلَّـكَ سَـوْفَ تَسْـلَمُ إِنْ فَعَلْتَـا

فأنت إذا أعرضت عنهم ولم تقابلهم بمثل سوءتهم «**لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا**» من ذلك؛ فهم شرّ، الرُّفقة السيئة شرّ لا تقرب منها، ولا تعاندُها، وإنما كن بعيدًا في محذر منها.

ثم بعد ذلك قال:

١٠٥- وَمَـنْ لَـكَ بِالسَّـلَامَةِ فِـي زَمَـانٍ تَنَـالُ العِصْـمَ إِلَّـا إِنْ عُصِـمْتَا

«**وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ**»، الآن الرُّفقة السيئة ما تسلم منهم؛ فكيف في زمن الفتن وقوة - مثلًا- أهل الشرّ إذا كانوا كذلك؟

قال: «**وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ**» يعني: كثر فيه الشرّ و ابتعد منه أهل الشرّ، «**تَنَالُ العِصْمَ**» يعني: لا تنال فيه العصمة «**إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا**».

«**وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ تَنَالُ العِصْمَ**»: تبحث العصمة فيه -في هذا الزمن- لكن لن يعصمك إلا الله، «**إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا**»: إلا إن عصمت من شرور أولئك؛ فأولئك شرٌّ مستطير ابتعد عنهم؛ فلا يكن وقتك معهم كثيرًا، وإنما بما فيه مصلحة؛ كالقرابة لصلة القربى، غير القرابة: بما فيه نفع؛ شراء بيع ثم تبتعد عنهم كما تبتعد وتهرب من الأسد والنمر ونحو ذلك .- نعم-، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

المعصية إذا كان الشخص بالقرب منها فالإسلام يأمرك بترك مكان المعصية إلى مكان أخر تعبد الله - عزَّ وجلَّ- فيه؛ لئلا يذكرك مكان المعصية بالمعصية، مثلًا: الزاني البكر حكمُهُ في الإسلام التغريب؛ لأن هذا المكان الذي وقعت فيه المعصية يذكرك بالمعصية؛ فابتعد عنها حتى تعبد الله -ﷻ- وتلتجأ إليه.

وكذلك الهجرة في بلد الكفر ونحو ذلك؛ ابتعد عن ذلك المكان فهو ليس مكان يقربك من الله؛ ابتعد عن ذلك المكان، فالشخص يبتعد عن المكان الذي يضُرُه في طاعة الله -سبحانه- وعبادته إلى مكان يعبد الله سبحانه -ﷻ- فيه.

وإذا كان الشخص لا يستطيع ترك ذلك المكان لأمر ما شرعي فإن عليه البقاء في ذلك المكان مع الصبر والدعوة والاحتساب لله –سبحانه-، وإذا كان يمكن له ترك ذلك المكان فليغرِّب وليشرِّق في أرض الله الواسعة؛ كما قال سبحانه: ﴿ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّـٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦] ؛ لذلك قال الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

١٠٦- وَلَـا تَـلْبَـثْ بِحَـيٍّ فِيـهِ ضَـيْمٌ　　　يُمِيـتُ القَلْـبَ إِلَّـا إِنْ كُبِلْتَـا

«**وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ**» يعني: ظلم ومعصية.

وَلَا تَـلْبَـثْ بِـحَيٍّ فِيـهِ ضَـيْمٌ　　　يُمِيـتُ القَلْـبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَـا

التكبيل: قيد الرِّجل. يعني: إلا إذا كانت رجلُك مقيدة يعني ما تستطيع أن تترك ذلك المكان؛ فأنت معذور في ذلك، إذا كان لا تستطيع ترك ذلك المكان شرعًا فأنت معذور في ذلك.

ثم قال:

١٠٧- وَغَـرِّبْ فَالتَّـغَرُّبُ فِيـهِ خَيْـرٌ   وَشَـرِّقْ إِنْ بِـرِيقِكَ قَـدْ شَـرِقْتَا

«**وَغَرِّبْ فَالتَّغَرُّبُ فِيهِ خَيْرٌ**» يعني لما قال لك: اترك ذلك المكان الذي فيه المعصية فكأنك تقول له: أين أذهب؟ قال: «..**غَرِّبْ فَالتَّغَرُّبُ فِيهِ خَيْرٌ**» يعني: عليك بالسفر والغربة ولو جهة الغرب .

قال: «**وَغَرِّبْ فَالتَّغَرُّبُ فِيهِ خَيْرٌ**»، «..**التَّغَرُّبُ فِيهِ خَيْرٌ**»: مثل ما قال النبي ﷺ : «لا يزال أهل المغرب ظاهرين»[1]. والمراد بالمغرب: أهل المغرب؛ يعني: أهل الشام، فالشام بالنسبة للمدينة غرب للشام؛ لذلك قال:

وَغَـرِّبْ فَـالتَّـغَرُّبُ فِيـهِ خَـيْرٌ   وَشَـرِّقْ إِنْ بِـرِيقِكَ قَـدْ شَرِقْتَـا

يعني: اذهب جهة الشرق أيضًا.

«**إِنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا**»: الريق:- معروف- اللعاب. إذا كنت قد شرقت بالريق ولا تستطيع أن تذهب في المكان غرب بعيد عنك؛ اذهب لو إلى الشرق «**وَشَرِّقْ إِنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا**» .

ثم بعد ذلك ذكر بيتين - ؏ - يبين لك ما هو الزهد الحقيقي، قال الزهد الحقيقي يعني: ترك مالا يحتاج إليه المرء من المباحات، هذا الزهد الحقيقي .

---

(١) مسند أبي عوانة برقم (٧٥١٠)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

قال وإذا زهدت فأنت الأمير، وأنت العظيم، ولو هناك وصف غير الأمير لوصفت به؛ لذلك قال:

١٠٨- فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا لَأَنْتَ بِهَا الأَمِيرُ إِذَا زَهِدتَّا

١٠٩- وَلَوْ فَوْقَ الأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا سُمُوًّا وَارْتِفَاعًا كُنْتَ أَنْتَا

«**فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا**» يعني: ليس الزهد في الدنيا ضَعف ولا مذمة. «**لَأَنْتَ بِهَا الأَمِيرُ إِذَا زَهِدتَّا**»، «**لَأَنْتَ بِهَا الأَمِيرُ**»: لأنت توصف بالأمير في الدنيا إذا زهدتا .

«**وَلَوْ فَوْقَ الأَمِيرِ**»: ولو هناك وصف فوق الأمير نوصفك فيه، «**وَلَوْ فَوْقَ الأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا سُمُوًّا وَارْتِفَاعًا**»: ولو هناك وصف نصفُك به غير وصف الأمير؛ في هذا الوصف سمو ورفعة لك؛ لوصفناك به ؛ لذلك قال:

وَلَوْ فَوْقَ الأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا سُمُوًّا وَارْتِفَاعًا كُنْتَ أَنْتَا

فأعلى وصف نصفُك به ونمدحُك به؛ هو وصف الزهد .

معنى كلامه: ازهد في الدنيا، ولا تطُل عينك إلى ما يضُرُك في آخرتك، ولا تجشع في هذه الحياة، ولا تطمع فيها، وإنما اقنع بما رزقك الله -عزَّ وجلَّ- به، واشكره سبحانه على نعمه. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

-نعم- بسم الله الرحمن الرحيم، قال الناظم-رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٠- فَـإِنْ فَارَقْـتَهَا وَخَرَجْـتَ مِنْهَـا ... إِلَـى دَارِ السَّـلَامِ فَقَـدْ سَـلِمْتَا

«**فَإِنْ فَارَقْتَهَا**» يعني: الدنيا، لأن الضمير-سبق لكم-«**فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا**».

«**فَإِنْ فَارَقْتَهَا**» أي: الدنيا. «**فَإِنْ فَارَقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا إِلَى دَارِ السَّلَامِ**»: فإن فارقت هذه الدنيا، «**وَخَرَجْتَ مِنْهَا**» زاهدًا «**إِلَى دَارِ السَّلَامِ**» إلى الجنة ؛ «**فَقَدْ سَلِمْتَا**» .

يعني الزهد المحمود: ترك ما لا يُحتاج إليه، والعفاف، والإعراض عن الدنيا وزينتِها، فإن فارقتها بهذا الزهد، وخرجت منها إلى دار السلام؛ فقد سلمتا، فاستمر على هذا الزهد حتى تخرج من هذه إلى دار السلام .

١١١- وَإِنْ أَكْرَمْتَهَـا وَنَظَـرْتَ فِيهَـا ... لِـإِكْرَامٍ فَنَفْسَـكَ قَـدْ أَهَنْتَـا

«**وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا**» يعني: الدنيا، «**وَنَظَرْتَ فِيهَا لِإِكْرَامٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا**»: إذا أكرمت الدنيا؛ عظَّمتها في نفسك [«**وَنَظَرْتَ فِيهَا لِإِكْرَامٍ**»] «**وَإِنْ أَكْرَمْتَهَا**»: أعطيت وقتك منها، «**وَنَظَرْتَ فِيهَا لِإِكْرَامٍ**»: بجَّلاتها بقلبك؛ «**فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا**»: فقد أهنت نفسك؛ لأنك قد أكرمتَ شيئًا مَهِينًا وهي الدنيا، والدنيا لا تذم على إطلاقِها ولا تمدح على إطلاقِها، وإنما مثل ما قال شيخ الإسلام: « تمدح لما فيها من العمل الصالح، ويذم ما يؤدي فيها إلى معصية الله - عَزَّ وَجَلَّ -» [(١)].

---

(١)

فلما ذكر ما سبق -رَحِمَهُ اللَّهُ- من أبيات، قال:

١١٢- جَـمَعْتُ لَـكَ النَّصَـائِحَ فَامْتَثِلْهَـا حَيَاتَـكَ فَهْـيَ أَفْضَـلُ مَـا امْتَثَلْتَـا

«**جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ**»: جمعتُ لك هذه النصائح وفي الزهد عن الدنيا، وفي الصحبة الصالحة والبعد عن الرُّفقة السيئة، وغير ذلك .

قال:

جَـمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَامْتَثِلْهَـا حَيَاتَكَ فَهْيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَـا

«**جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ**» في هذه الأبيات السابقة، وهي أبيات عظيمة، ونصائح كثيرة، وهي من رجلٍ زاهدٍ، عالمٍ، فقيهٍ، مجرِّب، يبين لك شئون الحياة .

جَـمَعْتُ لَكَ النَّصَائِحَ فَامْتَثِلْهَـا حَيَاتَكَ فَهْيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَـا

١١٣- وَطَوَّلْـتُ العِتَـابَ وَزِدتُّ فِيـهِ لِأَنَّـكَ فِـي البَطَالَـةِ قَـدْ أَطَلْتَـا

«**وَطَوَّلْتُ العِتَابَ**» يعني: أكثرت عليك من اللوم والقدح والإغلاظ في القول، «**وَزِدتُّ**» في ذلك الأمر، أنا عرَفت أني طولت وزدت عليك، لكن لا تَلُمني على ذلك الفعل؛ «**لِأَنَّكَ فِي البَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا**»: في البطالة وعدم الإكثار من العبادة، البطالة وعدم التزود من العلم، والبطالة وعدم اتخاذ الرُّفقة الصالحة، طولت فيها وأبقيت فيها زمنًا طويلًا فما عملت كثيرَ الصالحات ؛ لذلك لا تَلُمني على هذ التطويل .

وهذا يدل على حرص العلماء -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- على نصح الآخرين كثيرًا ؛ فينصحونهم، وينصحونهم بأدب . والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الناظم-رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١١٤- وَلَا يَغْرُرْكَ تَقْصِيرِي وَسَهْوِي وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشَدتَّا

يعني يقول: أنا مقصر، وكثير الذنوب، ونصحتك، حتى وأنا مقصر؛ خذ بنصيحتي ووصيتي لك. وهذا دأب العلماء -رحمهم الله- في التواضع، واستصغار أنفسِهِم، واحتقارِهِم لأعمالِهِم الصالحة، واستشعار كثرة ذنوبِهِم ؛ لذلك كتب الله - عزَّ و جلَّ- لهم القَبُول .

١١٥- وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا حِسَانًا وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِائَةً وَسِتَّا

«**وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا حِسَانًا**» يعني: ختمتُها. يعني: ختمت هذه المنظومة التي فيها النصح والإرشاد «**وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا حِسَانًا**»؛ ختمتُها بتسعة أبيات حسنة جميلة، «**وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِائَةً وَسِتَّا**» يعني: عدد أبياتها مائة وخمسة عشر بيتًا .

«**وَقَدْ أَرْدَفْتُهَا تِسْعًا حِسَانًا**»: هذه تسعة أبيات، «**وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِائَةً وَسِتَّا**»: مائة وستة زائد تسعة؛ يعني: مائة وخمسة عشر بيتًا، يعني كأنه يقول لك: عدد أبيات منظومتي هذه مائة وخمسة عشر بيتًا .

قال:

١١٦- وَصَلِّ عَلَى تَمَامِ الرُّسْلِ رَبِّي وَعِتْرَتِهِ الكَرِيمَةِ مَا ذُكِرْتَا

قال: «**وَصَلِّ عَلَى تَمَامِ الرُّسْلِ رَبِّي**»؛ وهو محمد ﷺ .

قال: «**وَعِتْرَتِهِ الكَرِيمَةِ**»، قال شيخ الإسلام في «المنهاج»[١] : «عترت النَّبيّ ﷺ هم بنو هاشم». فعِترَتُهُ -عليه الصَّلاة والسَّلام- هم بنو هاشم، فكأنك- يعني- تقول: اللّٰهُمَّ صلِّ على النبي ﷺ وعلى آله، فعترتُ النبي ﷺ هم بنو هاشم يدخلون في آله؛ وهذا ممن هو منهم على الإسلام .

قال:

وَصَــلِّ عَلَى تَمَــامِ الرُّسْــلِ رَبِّي وَعِتْرَتِــهِ الكَرِيمَــةِ مَــا ذُكِرْتَــا

يعني: كلَّ ما ذكرتَ ذلك فصلِّ على النبي ﷺ وعلى آله .

وبهذا يكون الناظم-رَحِمَهُ اللهُ- قد ختمَ هذه الوصية المفيدة العظيمة التي فيها نصح وإرشاد وتوجيه، وإرشاد للكبار والصغار، طلبة العلم والجُهال، المذنبون منهم والأبرار؛ لتكونَ نبراسًا لهم في حياتِهِم، ومقربةً إلى ربهم - عزَّ و جلّ-. وعلى طالب العلم أن يمتثلها، وأن يأخذَ بتلك الوصايا الكثيرة المهمة العظيمة التي ذكرها الناظم -رَحِمَهُ اللهُ- .

نسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجمعنا وإياه في جناتِ النعيم، وأن ينفعنا بمنظومتِهِ، وأن يزيدَنا بها علمًا، وأن يقربنا منه -جَلَّ وَعَلَا- كثيرًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) ص ٣٩٥.